رهانات السلطة في العراق

حوار في أيديولوجيا التوظيف السياسي

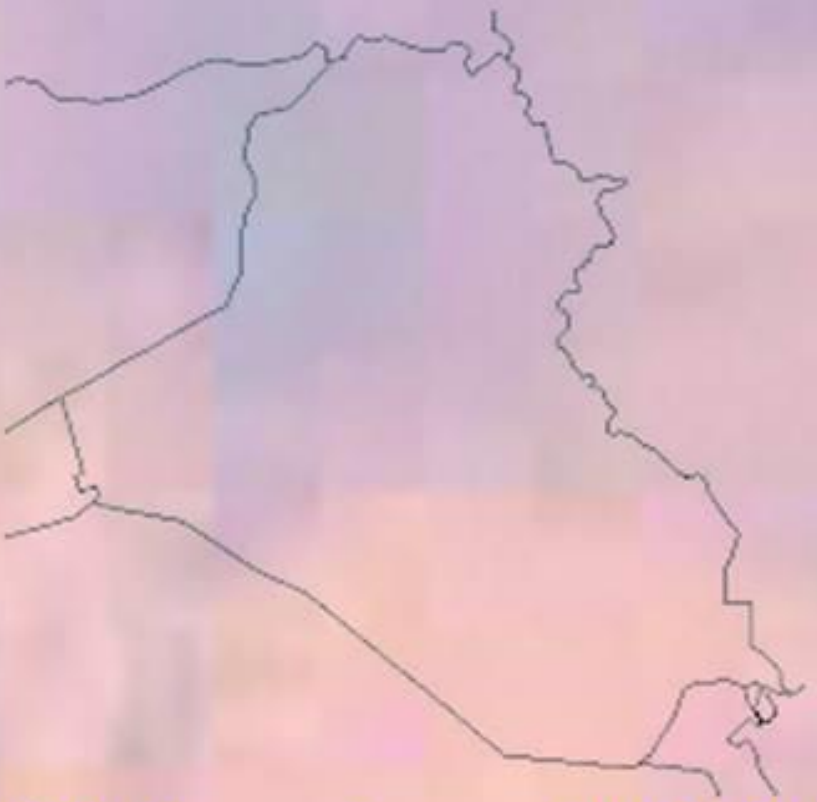

ماجد الغرباوي و طارق الكناني

رهانات السلطة في العراق

حوار في أيديولوجيا التوظيف السياسي

الكتاب: رهانات السلطة في العراق.. حوار في أيديولوجيا التوظيف السياسي

حوار: طارق الكناني مع: ماجد الغرباوي

الطبعة الأولى: ٢٠١٧م

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

إصدار: مؤسسة المثقف العربي، سيدني – استراليا

نشر وتوزيع: دار أمل الجديدة، دمشق – سوريا

ISBN: 978-9933-581-03-9

Almothaqaf Arabic Association

سورية -دمشق

جوال ٠٠٩٦٣٩٣٢٤٧٢٠٩٦ -٠٠٩٦٣٩٣٢٠٠٢١٢٦ -

هاتف: ٠٠٩٦٣١١٢٧٢٤٢٩٢

رهانات السلطة في العراق

حوار في أيديولوجيا التوظيف السياسي

ماجد الغرباوي و طارق الكناني

اهداء

لكل الذين قضوا نحبهم على كرسي الجلاد ،

ولكل الذين تناثرت دماؤهم تحت سياطه ،

ولكل الذين ينشدون الحقيقة

... أهدي هذا الكتاب

مقدمة

يمر العراق في منعطف تاريخي حاد، وتشهد المنطقة تطورات سريعة من الصعب جدا التكهن بمجرياتها، فهناك فعل ورد فعل، متساويان في القوة ومتعاكسان في الإتجاه، حيث لا أحد كان يتوقع أن تنقلب أمريكا على الأنظمة العلمانية وتأتي بأنظمة دينية ثيوقراطية. ومن المستغرب جدا ان تأتي نتائج العملية السياسية في أمريكا بعد أحداث الحادي عشر من أيلول مساندة لقيام دول دينية تعتمد على نفس الأسس التي تتبناها طالبان والسعودية وإيران.

لقد ساعدت أمريكا بعد احتلالها العراق على بناء نظام إسلامي بعنوان ديموقراطي زائف وتركت الأحزاب السياسية تتصارع لتغليب أحد النموذجين، السعودي أو الإيراني. وخلال أربعة عشر عاما من الصراع انتصر النموذج الإيراني في التحكّم بإدارة الدولة في العراق، وكما هو معروف نظام ثيوقراطي بعيدا عن الديموقراطية.

كان لهذه التجربة العراقية الجديدة تأثير كبير على الساحة الثقافية في العراق وخصوصا أن من تسنم الهرم في السلطة حزب عراقي إسلامي عريق له تاريخ نضالي، وله جمهور كبير، فهو

معروف على الساحة العراقية، حيث حاولت السلطة في العراق اجتثاث هذا الحزب على مدى عقود، وكانت تتهم كل مناوئيها بتهمة الانتساب إلى هذا الحزب حتى تتمكن من تصفيتهم بموجب تشريعات البلد باعتبار أن الانتماء لهذا الحزب هو خيانة عظمى لكونه حزبا يتسم بالعمالة لإيران حسب رأي السلطة.

هذا هو حزب الدعوة الإسلامية والذي أضاف إليه النظام السابق صفة العمالة حيث لايذكر اسم هذا الحزب الا وتذكر صفة العميل بعده، حيث أصبحنا نرددها وبدون شعور حتى بعد قيادته للسلطة في العراق. فكثيرا ماكنت أمزح مع اصدقائي من هذا الحزب بذكر هذه الصفة.

ان ما أفضت إليه الاوضاع في العراق بسبب سياسة أعضاء هذا الحزب جعلتنا نعيد النظر في موقفنا تجاهه. هذا الحزب الذي كنّا نشعر بمظلوميته ونُكبر مواقف رجالاته، وخصوصا الأشخاص الذين قامت بإعدامهم سلطات البعث، لم يكن موقف أعضاء حزب الدعوة الإسلامية بنفس الصورة التي تخيلها الشارع العراقي وكما كان يتمنى، كما أنه لم يجد من بين مفكريه من هو داخل الهرم القيادي للحزب بل وجد سقط المتاع من القيادات المغمورة والتي لم نسمع لهم رأيا من قبل. وأما مفكرو الحزب وقياداتهم فقد اختفوا عن الساحة لسبب وآخر. فقط كان من بين هذه الوجوه (عز الدين سليم) رحمه الله واسمه الحقيقي (عبد الزهرة عثمان) وقد تم تدبير اغتياله بشكل واضح ومفضوح عندما

كان رئيسا لمجلس الحكم في العراق. صار لزاما علينا أن نجد من يكمل لنا الصورة التي صارت مجتزأة بفعل عوامل التعرية السلطوية التي داهمت أفراد هذا الحزب على حين غرة، وصار لزاما علينا أن نستوضح ممن هو أكثر كفاءة وقدرة على تمييز الأحداث والمواقف التي يتبناها اعضاؤه.

لماذا ماجد الغرباوي

حدثني صديقي القاص حمودي الكناني عن حوار مفتوح مع المفكر الإسلامي ماجد الغرباوي، مؤسس ورئيس مؤسسة المثقف، من قبل مجموعة من كتّاب صحيفة المثقف التي يترأس تحريرها. وكنت قد قرأت العديد من مقالات هذا المفكر واستوعبت ما كان يطرحه بشكل جيد، فوجدت فيه مفكراً بارعا متحرراً من قيود الحزبية والتخندق الطائفي، بعيدا عن كل عقد الفوبيا أو عقدة الشعور بالاضطهاد. قررت المشاركة في الحوار معه، في محاولة لمعرفة الموقف الحقيقي لهذا المفكر، باعتبار أن الأسئلة ستكون مباشرة وحادة وتتطلب بعض الاجابات موقفا واضحا وصريحا لا يقبل اللّبس. حين بدأنا الحوار كنت متخوفا من أسئلتي، وكنت أخشى أن تكون منفّرة، لهذا كنت أُداري أجواء الحوار، ولكن حينما قرأت الأجوبة رأيت شيئا مختلفا عن توقعاتي. لقد كان الغرباوي يجيب بسلاسة عن كل المحاور في الأسئلة الثلاثة التي طرحتها، حيث كان المحور الأول

مقارنة بين الفكر الأممي والقومي، والمحور الثاني حول الاضطهاد السياسي، وأما المحور الثالث (الذي تأجل نشره في هذا الكتاب) فهو محور عقائدي متشعب يمس جوهر العقيدة الاسلامية ويمثل منطقة حظر وخطا أحمر.

لقد تبددت كل الغيوم التي كانت تحجب رؤيتي عن فكر الغرباوي ووضحت المعالم الفكرية لهذا الهرم الثقافي، فهو بحق كان كما وصفه أخي حمودي الكناني، وكانت النتيجة أن بقى الحوار مستمرا معه حول المحور الثالث، الذي لم يتضمنه هذا الكتاب. كانت إجابات الغرباوي تفتح أفاقاً جديدة أمامي، وترفد حوارنا بأفكار وطروحات جديرة بالاهتمام. فطروحات الغرباوي كانت تتفوق بشكل كبير على مارسمته في مخيلتي له، واعتقد انه قد تحرر وبشكل مطلق من الحزبية وقيودها وانطلق في فضاءات الفكر الخلاق متجاوزا لكل الخطوط الحمراء التي رسمها له الفكر الحزبي خلال فترة نضاله، فهو لم يعد ملكاً وحكراًعلى حزب معين أو أيديولوجيا محددة، بل أصبح مفكرا، حدود فكره الانسان وساحته الانسانية بعيداً عن العقائد الدينية والمذهبية الضيقة.

ماجد الغرباوي ذلك المناضل الذي انتمى في بداية حياته السياسية إلى حزب الدعوة الإسلامية لم يكن يومها إلاّ شاباً عاش في بيئة اسلامية ومحيط مليء بالعلماء والمفكرين أمثال محمد باقر الصدر الذي كانت طروحاته الفكرية تجذب الكثير من

المفكرين الكبار في الوطن العربي، فكيف بشاب مثل ماجد الغرباوي الذي فتح عينه على إسلام تقليدي وفجأة أكتشف فكرا أكثر ديناميكية وقربا للواقع وبعيدا عن الفكر التقليدي الذي كانت تمتاز به الطروحات الدينية التقليدية آنذاك، حيث كانت مدرسة الصدر تفتح آفاقاً كبيرة للفكر الإسلامي المتحرر من قيود التبعية الدينية، فهو يناقش شتى مجالات الحياة والسلطة والاقتصاد ويرسم طريقا أكثر ثورية في بناء الدولة الإسلامية التي كانت حلم الكثيرين من الشباب أمثال الغرباوي الذين كانوا يتطلعون لهكذا نموذج، وهكذا فكر، فهم قد تشبعوا بنظريات الحلال والحرام والحيض والنفاس التي لم تعد تجدي نفعا ولاتغذي فكرا متطلعا لحياة عصرية وسط هذه الثورات العلمية التي تجتاح العالم وبنمط متسارع يحتاج معه الفكر الإسلامي إلى ثورة موازية لتكييف حياة الفرد مع ما يحدث حوله من مستجدات، فكرا يبحث عن مكان له وسط هذا اللامكان الذي جعل الفرد المسلم يبدو وكأنه من كوكب آخر بعيدا عن التطور العلمي والتكنلوجي، يبدو تائها لا مكان له وسط هذا الزحام الفكري في النظريات الاقتصادية والفلسفية والعلمية، فكان هناك خياران للشباب الاسلامي لا ثالث لهما، إما التمسك بعرى الدين الحنيف متبعا لخطى السلف في طريقة الحياة التقليدية وحسب ما يطرحه الفقهاء عن هذه الحياة والالتزام بها وفق تعاليمهم التي استمدوها من خلال دراستهم للفقه الاسلامي، وإما أن يتجه إلى الفكر

الغربي المستورد حديثا والذي يبني الدولة وفق معايير علمية جديدة بعيدا عن الدين والتزمت الذي يفرضه رجال الدين على أنظمة الحكم والتشريعات التي تصدر من قبل الأجهزة التشريعية للسلطات.

كانت مدرسة الشهيد الصدر تمثل الحل الوسط بين هاتين المدرستين فهي تطرح الحاكمية وأساليب إدارة الإقتصاد بشكل يتلائم مع الحياة العصرية، خصوصا بعد أن نجحت نظرية البنك اللاربوي في التطبيق عندما تبناها رجال المصارف في الكويت، ويومها واجه هذا البنك عداء كبيرا بعد أن حقق نجاحا مذهلا في انجازاته وبالتالي تم غلقه.

لقد التحق الغرباوي بهذه المدرسة بعد أن وجدها البديل الأمثل لكل ما يطمح له. التحق بها وهو في مقتبل العمر حيث كلفه هذا الموقف أغلب سنوات عمره التي قضاها بين السجن والمنفى الذي ما زال فيه.

إذاً، فالغرباوي مفكر وباحث، يسعى من خلال مشروعه الى: ترشيد الوعي بعد تحرير الخطاب الديني من سطوة التراث وتداعيات العقل التقليدي، عبر قراءة متجددة للنص الديني تقوم على النقد والمراجعة المستمرة، كشرط أساس لنهوض حضاري، يساهم في ترسيخ قيم الحرية والتسامح والعدالة، في اطار مجتمع مدني خالٍ من العنف والتنابذ والاحتراب.

وطالما أكد الغرباوي في تشخيصه لأسباب التخلف والسبل

الكفيلة بالنهوض الحضاري: أن المشكلة الأساس وبالدرجة الأولى ثقافية، تتعلق ببنية العقل، والنظام المعرفي لشعوب المنطقة، لأنها القاعدة التي ترتكز اليها النهضة، أية نهضة كانت.

يختلف ماجد الغرباوي في تشخيصه لأسباب التخلف وعوامل النهضة الحضارية، حيث راح يتوغل في العقل والثقافة باحثا عن كيفية تكون البنى المعرفية وما هي المفاهيم والمقولات المؤسسة لها، فكان وما زال يؤكد على نقد جميع الثوابت والقناعات واعادة تفكيك العقل وبنائه وفق قيم ومقولات حضارية، لهذا أكد كثيرا على فهم الدين كمكون أساس لشعوبنا، فاعتبر الفهم الخاطئ للدين أحد الأسباب الرئيسية وراء تخلّف المسلمين حضاريا. وبهذا امتاز عن غيره من رواد النهضة بقدرته على التشخيص والنقد الذي يغور في أعماق الثقافة والفكر، فما عادت الأسباب المطروحة من قبل الرواد الآخرين كافية لوجود نهضة حقيقية بل ما زال الوضع ذاته اذا لم يكن أسوء مع ظهور حركات التكفير الديني.

لماذا هذا الكتاب

قد يعتبر البعض الحوارات، التي تجرى مع أعضاء حزب الدعوة أو الدعاة الأوائل في هذه الفترة، من الهذر السياسي الذي يتردد وسط أجواء تفتقر إلى الصراحة ونكوص في تطبيق النظريات الاسلامية التي كانت تدعو لها الاحزاب الاسلامية، فالمواطن قد

اصطدم بحقائق يصعب معها تفسير نظرية الحاكمية في الفكر الإسلامي، ومن الصعب عليه أن يصدق أن ما يجري هو تجسيد للفكر الإسلامي الذي ارتكز عليه مفكرو الأحزاب الإسلامية. غير أن ماجد الغرباوي مفكر وباحث جدير قبل أن يكون داعية إسلاميا أو منتميا لحزب الدعوة الذي غادره مبكرا جدا قبل ٣٠ عاما، ليتحرر والى الأبد من سطوة الأيديولوجيا مطلقا، وأيديولوجيا الأحزاب الإسلامية خاصة، لذا تجده ينتقد، يجادل، يتكلم بموضوعية ومصداقية عالية، بعيدا عن منطق التبرير، ويحاسب حزب الدعوة وقياداته كما يحاسب الأحزاب والحركات السياسية الأخرى. فمنذ أكثر من ٣٣ عاما يواصل ماجد الغرباوي عمله الفكري والثقافي من أجل مشروع آخر يباين مشاريع الحركات الإسلامية، لذا يؤكد دائما على دور الثقافة والوعي، وتحرير الدين من سطوة الفقهاء والتفسيرات الطائفية المتحيزة، والفصل بينه وبين السياسة والتوظيفات الآيديولوجية المخلة بهدف الدين ووظيفته الأساسية في الحياة، وبالتالي فهو يقدّم فهما آخر للدين، يتقاطع مع فهم الإحزاب والحركات الإسلامية التي تجد في الدين وسيلة ناجحة لبلوغ أهدافها السياسية.

قبل الشروع بهذا الحوار لفتت انتباهي محاضرة ألقاها المفكر غالب الشابندر في كربلاء حول هذه المواضيع، لقد كنت استمع وأنا وسط ذهول وحيرة مما طرحه هذا المفكر، وقد كان خلاف ماتوقعته تماما، حيث بدا لي متحررا من كل التبعيات الحزبية

والعقائدية والتي قامت على أساسها الأيديولوجية الفكرية لحزب الدعوة، وعندما بدأت حواري مع المفكر الغرباوي وجدت شيئا مشابها إلى حد كبير مع ما طرحه الشابندر، حيث بدا لي أن هذين المفكرين قد شربا من منبع واحد مختلف عن بقية الجوقة السياسية التي تتسيد المشهد السياسي في العراق.

إن ما طرحه الغرباوي في هذا الحوار من أفكار يعتبر محطة اضاءة كبرى للفكر الإنساني المتحرر من التبعية الدينية والمذهبية والايديولوجية وسط هذا الضجيج الفكري الذي يكرّس الطائفية والاحتراب، رأيت من واجبي كإنسان يحترم الفكر الإنساني ويدعو لمشروع الانسان الكوني التعاون مع هذا المفكر لنشر هذه الأفكار في كتاب يمكن أن يوثق للأجيال القادمة الكثير من الحقائق التي سيحاول تغييبها ممن هم في السلطة عن الفكر الجمعي للمجتمع العراقي محاولين اسدال الستار عن حقبة مفصلية وتجربة حقيقية لطريقة بناء الدولة في فكر الأحزاب الإسلامية بكل انتماءاتها وفشلها في صياغة شكل الدولة الذي تم طرحه وفق النموذج الاسلامي والذي تم التنظير له عبر حقبة زمنية طويلة، حيث انتج لنا هذا الحراك الفكري الإسلامي نظاما مشوها نسخة طبق الأصل عن نظام الحكم في الدولة الأموية بل اشد تخلفا ودموية وفساداً.

في النهاية أشكر الأستاذ ماجد الغرباوي على صبره وسعة حلمه، وهو يرد على أسئلتي بتفاعل وروية، يسجّل شهادته

التاريخية عن مسيرة المعارضة العراقية بثقة عالية، فكانت أجوبته المفعمة بالثقافة والوعي تنير فضاء الحوار، فتفتح أمامي آفاقا جديدة ساهمت في تطوّر الحوار وتشعّب أسئلته. خاصة ما أدلى به حول حقبة مهمة من نضال الشعب العراقي. فشكراً له باحثا ومفكراً، صارع الحياة وما يزال طلبا للحقيقة.

كما أوجه شكري لكل من ساهم في صدور هذا الكتاب، خاصة الاخ القاص حمودي الكناني، الذي قام بمراجعة الكتاب وسجل عليه ملاحظات قيمة. وينبغي التنبيه أن الكتاب أشتمل على أجوبة أسئلة المحورين الأول والثاني وما زال الحوار مستمرا حول أسئلة المحور الثالث الخاص بالعقيدة والفكر، نأمل في صدوره هو الآخر مستقبلا في كتاب، كي يستفيد منه القارئ الكريم.

ولقد قمت بتقسيم الكتاب الى محاور، وأضفت له عناوين رئيسية وفرعية تساعد على متابعته. أملي أن يفتح الكتاب آفاقا جديدة تساعد على فهم الأزمات السياسية والثقافية في البلاد، وما هدفي من إجراء هذا الحوار سوى الوصول الى الحقيقة، فأنا سعيد بانجاز هذا الكتاب، وأتمنى صدور الكتاب الثاني ضمن هذا الحوار لاحقا بإذنه تعالى.

طارق الكناني – كربلاء / العراق

١٠ - ١١ – ٢٠١٦

حوار مع
الأستاذ ماجد الغرباوي

حول رهانات السلطة في العراق
وأيديولوجيا التوظيف السياسي

حاوره: طارق الكناني

ماجد الغرباوي

-كاتب وباحث عراقي / إستراليا.

-مؤسس ورئيس تحرير صحيفة المثقف.

-مؤسس ورئيس مؤسسة المثقف العربي – سيدني.

-كان رئيسا لتحرير مجلة التوحيد (الأعداد: ٨٥ - ١٠٦).

-أصدر سلسلة رواد الإصلاح، وكان رئيساً لتحريرها.

-كان عضو الهيئة العلمية لكتاب التوحيد.

-شارك في عدد من الندوات والمؤتمرات العلمية والفكرية.

-مارس التدريس ضمن اختصاصه في المعاهد العلمية لسنوات عدّة.

-حائز على عدد من الجوائز النقدية والتقديرية عن أعماله العلمية.

-كتب عن منجزه الفكري والثقافي والأدبي عدد من النقّاد والباحثين، عرب وأجانب.

-له أكثر من 20 عملاً مطبوعاً، تأليفاً، وتحقيقاً، وحواراً، وترجمة، إضافة الى عدد كبير من الدراسات والبحوث والمقالات في مجلات وصحف ومواقع الكترونية مختلفة.

صدر له

-إشكاليات التجديد (طبعتان)، ٢٠٠٠م و٢٠٠١م.

-التسامح ومنابع اللاتسامح .. فرص التعايش بين الأديان والثقافات (طبعتان)، ٢٠٠٦م و٢٠٠٨م.

-تحديات العنف، ٢٠٠٩م.

-الضد النوعي للاستبداد .. استفهامات حول جدوى المشروع السياسي الديني، ٢٠١٠م.

-الشيخ محمد حسين النائيني .. منظّر الحركة الدستورية

(طبعتان)، ١٩٩٩م و٢٠١٢م.

-الحركات الإسلامية .. قراءة نقدية في تجليات الوعي، ٢٠١٥م.

-جدلية السياسة والوعي .. قراءة في تداعيات السلطة والحكم في العراق، ٢٠١٦م.

-الشيخ المفيد وعلوم الحديث، ١٩٩٢م.

-ترجمة كتاب الدين والفكر في شراك الاستبداد، ٢٠٠١م.

-تحقيق كتاب نهاية الدراية في علوم الحديث

كتب حوارات معه

-المرأة والقرآن .. حوار في إشكاليات التشريع / حاورته: د. ماجدة غضبان، ٢٠١٥م.

-إخفاقات الوعي الديني.. حوار في تداعيات النكوص الحضاري / حاوره: سلام البهية السماوي، ٢٠١٦م.

-رهانات السلطة والحكم في العراق .. حوار في أيديولوجيا التوظيف السياسي / حاوره: طارق الكناني

كتب صدرت عنه

-جدلية العنف والتسامح .. قراءة في المشروع الإصلاحي لماجد الغرباوي/ د. صالح الرزوق، ٢٠١٦م.

المحور الأول

الحركة القومية
في الوعي السياسي العربي

القومية والأممية

س١: طارق الكناني: غالباً ما نرى انتعاش الحركات الأممية في العراق، وتلقى هذه الأفكار رواجاً أكثر من مصر مع أنها تعيش في محيط عربي كبير، بينما تنتعش في مصر الأفكار القومية، ما سبب ذلك؟.

ج١: ماجد الغرياوي: مرحباً بالكاتب والباحث والأديب القدير الأستاذ طارق الكناني، وشكراً لأسئلته الذكيّة. هناك أسباب عدة وراء انتعاش الحركات الأممية في العراق، على العكس من مصر، أشير باختصار لأهمها:

أولا: طبيعة التركيبة السكانية المختلفة في كلا البلدين، فالعراق متعدد قومياً ودينياً ومذهبياً، وهناك أقليات غير عربية في مقابل العرب، كالأكراد والآشوريين، والأكراد الفيلية، والفرس أو التبعية الإيرانية، بل وحتى المندائية، هم بقايا السومريين أقدم من العرب تأريخياً. فهذه الأقليات، التي تشكّل نسبة كبيرة ضمن النسيج العراقي، لا تتفاعل مع شعارات تكرّس القومية العربية، على حساب هويتهم وقوميتهم. خوفاً من الإقصاء، وتخشى الذوبان والتلاشي، وتطالب دائما بدستور يوازن بين مكوّنات الشعب ويحفظ حقوقهم القومية. لذا يرفضون التبني السياسي لقومية ما على حساب القوميات الأخرى، خاصة القومية

العربية التي تشعر بتفوق العنصر العربي، فتبدو كأنها حركة عنصرية تمنح العرب قدسية استمدتها من قدسية القرآن الذي نزل بلغة العرب (وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ)، وأن محمدا الرسول الكريم بُعث للعرب، ثم انطلق للعالم أجمع عندما أحتضن العرب رسالته، وجاهدوا بين يديه وقادوا انتصارات عظيمة. من هنا راحت تلك الحركات تؤسس لأيديولوجيا، تكرّس القومية العربية، ضمن رابطة اللغة والتاريخ والتراث المشترك. فالعروبة أساس التفاضل وفق منطق الحركات القومية العربية. وهذا ترفضه القوميات الأخرى خاصة المسلمة، التي لا تجد في العروبة أفضلية تصادر الآخر. فمن الطبيعي عدم تفاعل غير العربي مع الحركات القومية، خشية اختزاله ومصادرة هويته.

ثانيا: الموقف السلبي من الحقوق القومية للأقليات غير العربية، حدّ المصادرة لحقوقها وفرض قرارات تعسفية عليها خلقت ردة فعل ضدها. فطالما تشبّثت الحكومات القومية العربية بمواقف تاريخية لشرعنة سلوكها ضد الآخر. فالموالي "وهم غير العرب" كانوا مواطنين من الدرجة الثانية، رغم إسلامهم وإيمانهم، مما يعني بمنطق هؤلاء أن غير العربي يأتي بالدرجة الثانية بعد العنصر العربي، مهما كان إسلامه. وهذا موقف عام لسياسة الخلفاء المسلمين مع الموالي إلاّ ما ندر. فهناك تنابذ يصل حد الكراهية بين الطرفين، لم يستطع الإسلام ترويضه إلى الأبد، فتطفو الكراهية

على السطح بين فترة وأخرى. وهي كراهية معروفة تاريخياً، وما زالت تتفجر مع كل حدث أو إحتكاك سياسي. فالأكراد الذين خاضوا معارك دامية لانتزاع اعتراف رسمي بحقوقهم القومية، لا يمكنهم تبني شعارات قومية أخرى، لا تعترف بقوميتهم وتصادر حقوقهم التاريخية. وهكذا باقي القوميات، وإن لم تصرّح، خشية بطش الأنظمة. وهذا أيضا من الأسباب التي حدت من انتشار الحركات القومية وانعشت الحركات الأممية.

ثالثا: عاشت بعض المذاهب (الشيعة) الإقصاء والتهميش والحرمان في ظل حكومات سنية تعاقبت على حكم العراق منذ ١٩٥٨م. مما خلق ردة فعل لا شعورية ضد القومية العربية وشعاراتها، التي يتبناها السنّة غالباً. فالشيعي لا يفرق دائماً بين السنّي والقومي العربي، فأغلب قادة وقواعد الحركات القومية من العرب السنّة. لهذا لا يتفاعلون معها إلاّ بالإكراه، حسبما تقتضيه مصالحهم. إضافة الى تهمة الفارسية التي يُرمى بها الشيعة قد خلقت توجسا من الحركات القومية التي تعزف دائما على وتر التنابذ العنصري.

وهذا الكلام لا يعني التعميم مطلقاً بل هناك طيف واسع من العرب تبنوا الشعارات القومية، بدوافع قبلية أو كرها للقوميات الأخرى التركية والفارسية أو ردة فعل نفسية أو تعصبا للعرب، أو عن طريق الإكراه ثم تطورت إلى عقيدة راسخة.

رابعا: الشعارات المنافسة للحركات الأممية، شعارات مغرية، تناغم تطلعات الأقليات، وتبعث فيها أملاً كبيراً، لذا تفاعلت معها

بسرعة حد التضحية، خاصة تلك الشعارات التي تنادي بإلغاء الفوارق الطبقية على أساس عنصري أو قومي، أو ديني، وتعد الشعوب المقهورة والأقليات بتحقيق ذاتها واستعادة مكانتها الاجتماعية وانتزاع حقوقها من خلال السلطة، فكانت تضحياتهم كبيرة. وما زالت تضحيات العراقيين المنتمين للحزب الشيوعي العراقي ماثلة أمامنا. لكن هذا لا يعني التعميم كما تقدم، فهناك شيعة ينتمون للحركات القومية حد التضحية والموت، وهناك سنّة ينتمون للحركات الأممية أيضاً.

أما في مصر، فالحركة القومية العربية انتعشت في ظل حكومة الرئيس جمال عبد الناصر ١٩٥٢ عندما تبنى شعاراتها وطرحها كقضية استراتيجية، فسخّر لها كافة الإمكانيات الإعلامية والسياسية حتى إمتد الناصريون خارج مصر والدول المجاورة، بفعل الشعارات العريضة والمغرية وبفعل قوة شخصية جمال عبد الناصر، وقدرته على تحريك مشاعر الشعب المصري والعربي. فانسجم الشعب المصري مع الحركة القومية، ولم يسقط شموخها من عينه سوى إنكسار مصر أمام إسرائيل وفشل الوحدة العربية، فتخلوا عنها تدريجيا كحركة سياسية وإن بقيت شعورا في نفوس طيف واسع من المصريين. فما عادت هذه الحركات رهانا او طموحا للاجيال العربية، خاصة بعد تاريخ دامٍ في سوريا والعراق في ظل سياسة قومية تعسفية، أذاقت الشعوب ذلا وهوانا.

ثم إن الانقسام في مصر كان وما زال دينيا لا قوميا كما في

العـراق، وبالتـالي فـالتبني القـومي حـل للتمـايز الـديني، مـن أجـل مساواة حقيقية بين أبناء الشعب الواحد في كافة المجالات، خاصة الحقوق الدينية، وهذا كان أحد الأسباب وراء انتعاش الحركة القومية مقابل الحركة الأممية في مصر.

الأقليات القومية في مصر، كالشراكسة والأتراك، لا تعاني أزمات قومية حادة كما في العراق، وتكاد تكون العروبة قاسماً مشتركاً بين المصريين بما فيهم الأقباط، خاصة في ظل سياسة جمال عبد الناصر وقوة شخصيته. مطالب الأقباط -وهم الأوسع شريحة -دينية لا قومية، فالإطار القومي ملاذ ناجح للتخلص من التمييز الديني.

وثانياً: حال الوسط العربي المحيط بمصر دون انتشار الحركات الأممية، بينما ساعد الوسط غير العربي المحيط بالعراق على نفوذها. فهناك أرضية ملائمة لانتعاشها، بمعنى آخر أن العروبة في العراق كانت هشة، لينة، يمكن اختراقها بأفكار أممية، على العكس من مصر ومحيطها العربي. والمسألة ليست حدية، حيث انتشرت الحركة الأممية في مصر أيضا ولو بشكل محدود.

محنة الأقباط

س٢: طارق الكناني: هنا يتبادر لدينا تساؤل بسيط: في الضمير العالمي لا توجد دولة اسمها مصر فهم يطلقون عليها (إيجبت وتعني القبط) وحتى رسالة الرسول الأكرم كانت إلى المقوقس عظيم القبط فلا توجد دولة اسمها مصر وهي غير عربية أصلاً وفيها من القوميات الأخرى أيضاً الكثير منهم الشركس والترك وهم يقعون ضمن حوض المتوسط وما يخفى عليكم تأثرهم بالحضارة الغربية التي هم على تماس مباشر معها أكثر من تأثرهم بثقافة الجزيرة العربية.. من أين جاءت هذه الروح القومية؟

ج٢: ماجد الغرباوي: تقدّم أن معاناة الأقباط دفعت بإتجاه تبنّي القومية العربية، كملاذ للتخلص من الفوراق الدينية والاجتماعية، كما أن سياسة الرئيس جمال عبد الناصر نجحت في ترسيخ الفكر القومي العربي كإطار لتوحيد الشعب المصري، فالقبطي غير مستعد للتضحية بإنتمائه الديني، لكنه مستعد ان يكون قبطياً عربياً.

ثم تقدّم أيضاً أن القضية نسبية، لا يوجد تعميم، فالحركة القومية ليست معدومة في العراق، وكانت هناك جمعيات تبنت القومية العربية، خاصة في الأوساط المسيحية. ونفس الأمر بالنسبة لمصر والحركات الأممية، ولو بنسبة أقل. بل أن أحد أسباب تصاعد الشعور القومي لدى جميع القوميات غير العربية هو الشعور القومي العربي، الذي حرّض الآخر ودفعه باتجاه التمسك بقوميته

وعنصره في مقابل القومية العربية وعنصرها العربي. وهذا ما حصل في كلا البلدين العراقي والمصري، حيث أن الشعور القومي الفرعوني والدعوة الى القومية المصرية تتفاعل باستمرار وبصور مختلفة.

وأضيف هنا لتتضح الفكرة أكثر وأجيب على ما جاء في السؤال:

تأثر الشعب المصري بالإسلام حدّاً تخلى فيه أغلب المصريين عن دين أبائه وثقافته ولغته الأم، وراح يتكلم اللغة العربية، لغة القرآن الكريم، على العكس من دول أخرى كتركيا وإيران اللتين حافظتا على تراثهما ولغتهما واكتفتا بأسلمتهما، وظل التراثان التركي والفارسي يؤثران لا شعورياً في فهم الدين والإسلام ولو من زاوية خفية، بل ما زال الشعور القومي يلعب دورا خطيرا رغم أن تركيا وإيران دول إسلامية، وتتبنى الشريعة بنسب متفاوتة. فاستجابة الشعب المصري للإسلام كانت استجابة حقيقة فاعلة، أسسوا في ضوء مبادئه وثقافته حضارة إسلامية قوية.

إذاً ثمة أسباب في ترسّخ الروح القومية العربية لدى المصريين كما جاء في السؤال، منها:

-تفاعل الشعب المصري مع العرب الفاتحين المسلمين حد الذوبان، حتى كان المصريون أغلب الثوار ضد الخليفة الثالث، عثمان بن عفان.

-التشجيع المستمر على قراءة القرآن وتأدية الصلاة باللغة

العربيـة، كـان أيضـا عـاملا مهمـا في ترسـيخ العربيـة، وتبنيهـا تـدريجيا كلغـة رسميـة للبلـد، لتـدخل فيمـا بعـد مكونـا أساسـا للقومية الجديدة.

-ثم أن مصر تأريخياً ليست منقطعة عن العرب واللغة العربية بشكل كامل، بل هنـاك تبـادل تجـاري يلازمـه عـادة تفاعـل ثقـافي وحضاري. فاستقبال المصريين للإسلام واللغة العربية يكشف عن وجود إستعداد لتقبّل العربية والإلتحاق بالعرب كقومية، إما بفعل التبادل الثقافي بالتجاور، أو بسبب الاضطهاد الروماني للمصريين. فالمعروف أن الروم اضطهدوا المصريين دينياً، وطالبوهم بالتخلي عن عقيدتهم بالمسيح، في مقابل رؤية رومانية يرفضها المصريون الأقباط[1]، فوجدوا بالفتح الإسلامي ملاذا للخلاص، بل وجدوا

---

١ -(والحقيقة أن مصر كانت تحكمها الدولة الرومانية البيزنطية، وكان معظم شعب مصر من الأقباط الأرثوذكس، وكانت الدولة الحاكمة الرومانية وعلي رأسها هرقل يدينون بالملة الكاثوليكية، وفي عام٦٣٠ م أصدر الامبراطور هرقل قرارا بأن كل الولايات التابعة للدولة الرومانية، ومنها مصر، لابد أن تدين بدين واحد وملة واحدة هي الملة الكاثوليكية، وعلي ذلك رفض أقباط مصر تغيير ملتهم من الأرثوذكسية إلي الكاثوليكية، لذلك تعرضوا لأبشع أنواع العذاب، وقام الجنود الرومان بحرق متياس الأخ الأصغر للأنبا بنيامين بطريرك الأقباط الأرثوذكس حتي الموت أمام البطريرك لذلك هرب الأنبا بنيامين إلي الصحراء لمدة ثلاثة عشر عاما، وكان الجنود الرومان يعذبون الأقباط الأرثوذكس=

العقيدة الإسلامية أقرب إلى عقائدهم، فأسلموا وذابوا في الإسلام وعقيدته ولغته. وهذا بطبيعته يخلق روحا قومية عربية، بفضل التفاعل اليومي مع العرب والعربية، لكن من لم يسلم من الأقباط احتفظ بدينه ومشاعره القومية القبطية في مقابل القومية العربية.

ورغم عروبة مصر اليوم، لكن هناك حنين للأمة المصرية، كحاضنة لتنوع الطيف الديني والقومي، وما زالت الأصوات عالية تدعو لمنطق الأمة المصرية، خاصة مع استمرار معاناة الأقباط.

=بقتلهم في زيت مغلي أو وضعهم علي نار هادئة حتي الموت وآخر ابتكارات الجنود الرومان أنهم أحضروا من القسطنطينية آلات خاصة لتقريب فروع الشجر، وكانوا يربطون الأقباط من أرجلهم وأيديهم في فروع الشجر ويجعلون الآلات تترك فروع الشجر فيتمزق جسد القبطي إلي أربعة أجزاء وقد ذكر المؤرخ ساديرس ألوان العذاب الذي كان يتلقاه الأقباط علي أيدي الجنود الرومان)..

انظر مقال: هل أحرق عمرو بن العاص مكتبة الإسكندرية؟، للدكتور نبيل لوقا بباوي، أستاذ القانون الجنائي، صحيفة الأهرام القاهرية، الخميس ٢١ من رجب، ١٤٢٤ هـ، ١٨ سبتمبر، ٢٠٠٣م، السنة ١٢٧، العدد: ٤٢٦٥٤

الدين والقومية

س٣: طارق الكناني: هل تريد أن تقول أن هناك تشبث من شعوب المنطقة بالقومية العربية، فما هو السبب برأيك وراء هذا التشبث بهذا الشكل الواسع حتى تحولت الى أيديولوجيا، وثورة وقضية؟

ج٣: ماجد الغرياوي: هناك أكثر من سبب وراء تشبث شعوب المنطقة بالقومية العربية في القرون الثلاثة الأخيرة، خاصة في مصر وبلاد الشام، منها:

-سياسة الاضطهاد التي كانت تتبعها السلطنة العثمانية ضد غير المسلمين، باعتبارهم وفقا للفقه الإسلامي أهل ذمة فتنطبق عليهم أحكامها. فكان غير المسلمين كالمسيحيين يبحثون باستمرار عن وسيلة للخلاص من سياسة الاضطهاد العثماني. لهذا تمسكوا بالقومية العربية لقلب المعادلة الدينية، القائمة على ثنائية (مسلم / غير مسلم)، كخطوة أولى للتخلّص من التمييز الديني واسترداد حقوقهم المشروعة. لذا تبنوا القومية كاستراتيجية، وقضية، وشعار، وظّفوا إمكانياتهم المختلفة لنشر مفاهيمها وترسيخها في مقابل التحيّز الديني.

-ولما اكتشف المسلمون والعرب حجم التخلّف الحضاري، راحوا يبحثون عن سبل كفيلة بانتشالهم من حالة التردي والانحطاط. فكانت الفكرة القومية إحدى الأفكار المطروحة. وبالفعل تم تبني الفكر القومي من قبل بعض الاتجاهات السياسية

كفكرة وعقيدة وأيديولوجيا سياسية أخلاقية للنهوض الحضاري. خاصة مع وجود سياسة تركية عنصرية، تحتقر القوميات غير التركية كالعربية والأرمنية وغيرها. ثم تشجع الاتجاه القومي العربي أكثر في ظل مد قومي تركي يسعى هو الآخر لترسيخ القومية الطورانية والتخلّص من الهيمنة العثمانية القائمة على الشريعة الإسلامية، والتي تسببت في إقصاء عدد من القوميات والديانات. فالقومية كانتساب تاريخي له استحقاقاته لا يمكن التنازل عنها، كما يطالب بعض الإسلاميين المثاليين. كل إنسان يتشبث بقوميته ولغته وتاريخه، ويشتد التشبث عندما يواجه تحديات الإقصاء والإنسحاق. لكن الحديث هنا عن القومية كأيديولوجيا وفكر وعقيدة ورؤية سياسية.

-رغم تعاطف أغلب المسلمين مع الدولة العثمانية لكن ثمة تذمّر وعداء متجذّر من قبل طيف واسع من العرب، على مختلف اتجاهاتهم الدينية والسياسية، فهؤلاء طرحوا القومية العربية في مقابل القومية التركية، لتحييد الدين كعنصر استقطاب قوي. فكانت القومية العربية إحدى الاستراتيجيات العربية ضد الهيمنة العثمانية، وبالفعل نجحت في تعبئة العرب ضد العثمانيين وساهمت في الانعتاق من هيمنة سلطتهم البغيضة.

-سياسة الولاة العثمانين القائمة على العنصرية التركية أحدثت ردة فعل معاكسة ضدها من خلال التمسك بالعروبة كقومية مقابل القومية التركية. وهذا أيضا كان عاملا مهما في

ترسّخ الحس القومي العربي في المنطقة.

-تصاعدت أصوات (هادفة) تدعو للتشبث بالقومية كأطار لشعوب المنطقة لتفادي التعدد الديني والمذهبي وتشظياتهما التي تعمل عادة على خلق فوارق بين الناس على أساس ديني أو مذهبي. فطرح هؤلاء القومية العربية بديلا للدين، لتكون المعادلة (عرب ضد الأتراك) وليس (مسلمون ضد غير المسلمين). فالدين بنظرهم لا يصلح أطارا لتوحيد شعوب المنطقة، خاصة مع استمرار سياسة التمييز الديني التي تتبعها تركية العثمانية، ووجود تعاطف إسلامي مع السلطنة العثمانية. وبالتالي فالقومية في رأيهم إطار عملي لتوحيد شعوب المنطقة. بينما لا يصلح في نظرهم الدين لهذه المهمة، فثمة تمييز على أساس ديني ساهم في اضطهاد غير المسلمين. كما أن أغلب المسلمين كانوا مع بقاء الهيمنة العثمانية كدولة إسلامية تتبنى أحكام الشريعة، وأن سلطانها كامل الشرعية الدينية بإمضاء شيخ الإسلام!!!.

-نجاح المشروع العربي في خطواته الأولى، حيث تخلى السوريون واللبنانييون عن خلافاتهم الدينية وتشبثوا بالعروبة للحفاظ على وحدة الشعبين ومواجهة تحديات التبعية التركية والاستعمار الفرنسي. وهكذا تصدت الحركة القومية للاستعمار في مصر، وانتفضت ضد التخلف والانحطاط بعد اكتشاف تفوّق الغرب حضاريا.

-العروبة كانت بالنسبة للشعوب العربية شعاراً ساحرا، تم

توظيفه لتعبئتهم ضد إسرائيل، فكان العربي يحارب إسرائيل لأنها اغتصب فلسطين العربية. لكن بريق القومية انطفأ وخبا تدريجيا. حيث تخلى المصريون، دعاتها وحماتها، بعد خيبة الانكسارات العسكرية وفشل مشاريع الوحدة، حتى عاد الحنين للأمة المصرية كإطار جامع للتنوع القومي والديني في مصر بدلا من القومية العربية. كما رفض القومية باقي العرب بفعل السياسية الدموية القمعية لحكومات حزب البعث في سوريا والعراق، وموقفها السلبي من مشاريع الوحدة.

إذاً العوامل المتقدمة ساعدت على ترسّخ الشعور القومي العربي في المنطقة، وهذا جواب ما تقدم في سؤالك عن الأسباب الحقيقية وراء انتشار الشعور القومي العربي في المنطقة.

ينبغي التنبيه: كما أن الشعور القومي العربي جاء ردة فعل للشعور القومي التركي كذلك خَلَقَ الشعور القومي العربي شعورا قوميا لدى الأقليات غير العربية كالأكراد في سوريا والعراق، وهذه إحدى تداعيات سياسة الحركات القومية العربية القائمة على التعسف ضد الآخر غير العربي، ومصادرة حقوقه القومية.

تداعيات الشعور القومي

تبقى حقيقة تاريخية، هناك أكثر من دافع وراء تبني غير المسلمين لواء القومية العربية من خلال جمعياتهم وأحزابهم، خاصة في سوريا ولبنان. لذا يشكك البعض في نواياهم الحقيقية، ويتهمهم بمعاداة الدين الإسلامي من جهة والتواطؤ مع الاستعمار من جهة ثانية، من خلال تعاونهم مع الإرساليات التبشيرية التي يعلمون جيدا أن هدفها الحقيقي التمهيد للاستعمارين الانكليزي والفرنسي بغطاء علمي وديني تبشيري. لهذا اصطف رجال الدين الشيعة مع الأتراك ضد الاستعمار الإنكليزي، وتصدوا لمحاربته في حركة الجهاد الشهيرة بعد عام ١٩١٧م، جبهة البصرة. لأنهم أدركوا أن وراء المد القومي العربي موقف سلبي من الدين والشريعة الإسلامية، فالهدف ليس السلطنة العثمانية بقدر ما هو عداء للدين الحنيف. فمنطلقهم كان دينيا في عدم تبني القومية العربية التي رفعت شعارات مناهضة للدين المتجسد آنذاك بالدولة العثمانية.

نكوص الشعور القومي

س٤: طارق الكناني: هل تريد أن تقول أن هناك نكوصا بالشعور القومي لدى المصريين بسبب اضطهاد المسلمين للأقباط، سكان مصر الأصليين، والذي ظهر خلال هذه السنوات، فبدأوا يفكرون بالخلاص مثلما فكروا بالخلاص من الرومان من قبل وهم على نفس ديانتهم المسيحية مع اختلاف بسيط في المذهب؟

ج٤: ماجد الغرياوي: لحد الآن لم يظهر بقوة، وتمت السيطرة على جميع الاحتكاكات، بفضل الوطنية والشعور المصيري المشترك، والاحتكام للعقل، وتغليب لغة التسامح والاحترام والمحبّة، ويبقى الرهان على هذه اللغة في استمرار وحدة الشعب المصري، لكن لا أخفيك أن الخوف يدفع باتجاه التقوقع والانكماش لتحصين الذات، وهذا واضح عندما تنعدم الثقة بين الطرفين. والثقة معرّضة للإهتزاز ما دام هناك شعور ديني متطرّف لدى المسلمين والأقباط معاً. ويبقى أن تلعب الحكومة دوراً إيجابياً لتطمين الجميع مخافة تفاقم الوضع، وتطوره إلى حركة انفصال تجد مبرراته في الإسلوب الإقصائي لدى الآخر. لكن للأسف سمعت أن البرلمان المصري سمح ببناء الكنائس بشرط أن لا تعلو على مآذن مساجد المسلمين، بلا قبة ولا ناقوس، وهذا أمر يرفضه الأقباط، وبالفعل سمعت هناك إحتجاجات قبطية ضد هذا القرار. هذا أسلوب استفزازي يؤجج روح الكراهية والتنابذ الديني.

لديّ ملاحظة حول عبارتك (سكان مصر الأصليين): أقول:

المسلمون والأقباط كلاهما سكان أصليون. فهم أقباط ثم أعتنق أغلبهم الإسلام، وبالتالي فهم سكان أصليون يمثلون الغالبية المطلقة من الشعب المصري. ولا أظن أن الفاتحين المسلمين ومن وفد بعدهم لمصر قد أخلَّ بالتركيبة السكانية بشكل يُحدث تحولا أساسيا يلغي فيه معالم المرحلة الماضية، بل ذاب في بوتقة الشعب المصري، وأصبح بمرور الأيام مصرياً.

الإرث الحضاري

س٥: طارق الكناني: كيف تفسّر ضياع هذا الإرث المتراكم منذ الف واربعمائة سنة تقريبا من الإنتماء القومي بهذه السهولة وعلى مدى عقود من الزمان مع العلم أن للمسيحين الأقباط كنائسهم وبابا خاصاً بهم، فهم لا يخضعون إلى بابا روما وهذا برأيي إستقلال وأمتياز تام لم يحصل عليه حتى مسيحيّ روسيا الارثدوكس؟.

ج٥: ماجد الغرباوي: لا تنس تداعيات التجاور بين المسلمين وغيرهم في ظل سلطات جائرة، طبّقوا عليهم سياسة قاسية، إستمدت روحها من أحكام صدرت في زمان الرسول لمعالجة واقع محدد، فكانت أحكاماً تخص ذلك الواقع، ليس لها إطلاق لتشمل فتوحات الخلفاء والسلاطين المسلمين، الذين وظفوا كل شيء لتمدد سلطتهم. من هنا انحسر عدد الأقباط إلى عشرة بالمائة ١٠٪ من سكان مصر فقط. فخلفاء المسلمين وسلاطينهم فرضوا عليهم الجزية في مقابل الدفاع عنهم، بعد إعفائهم من الخدمة العسكرية ضمن جيوش المسلمين. كما فرضوا عليهم اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن، واشترطوا عليهم عدم التجاهر بديانتهم، وعدم ارتفاع بناء كنائسهم فوق بناء مآذن مساجد المسلمين. وغيرها من الأحكام. فكيف يمكن لديانة مغايرة الحفاظ على تراثها في ظل بيئة إقصائية، فضلاً عن تراكمه وتطوره؟ أكيد سيتعذر ذلك عليهم ما داموا في دائرة الإتهام. وبالتالي من الطبيعي إندثار تراثهم وتشتته، رغم وجود معالم ديانة قبطية تتجسد عبر

أديرتهم وكنائسهم المنتشرة في مصر وغيرها، ورغم وجود رئاسة دينية مستقلة عن روما. لقد ظل أقباط مصر يعانون من التمييز بسبب إنتمائهم الديني، فالقبطي لا يقف على قدم المساواة مع المسلم، ولا يحق له الإلتحاق بوظائف الدولة، خاصة المهمة. وظل على هذه الحال حتى مجيء محمد علي باشا الذي فرض عليه الوضع السياسي والمالي التسامح مع الأقباط في سياسته الجديدة، فرفع عنهم الجزية، وأناط بهم وظائف حكومية مهمة، والتحقوا بالجيش المصري، وبنوا كنائسهم، واستعادوا تراثهم، وأحيوا شعائرهم وتقاليدهم. ومنذ ذلك الوقت تغيّرت نظرة المصريين لبعضهم، وصاروا ينظرون بعين المساواة بين أبناء البلد الواحد.

لاحظ تأثير الحاكم وسياسته على شعبه. فعندما كان الحاكم جائرا يتعامل مع الأقباط بأسلوب إقصائيّ، كانت نظرة المسلمين للأقباط نظرة سلبية، ثم تغيّرت مع تغير سياسة الحاكم. وقد استمرت سياسة التسامح والمساواة بين المسلمين والأقباط بعد محمد علي باشا، ثم سعيد باشا، ثم الخديوي إسماعيل باشا.

ثمة ملاحظة أخيرة، ربما تعرّض التراث القبطي، الفكري والثقافي والأدبي، الى التدمير من قبل القوى العسكرية المتعاقبة على مصر، التي تعتبر كتبهم كتب ضلال، يجب اتلافها!!. وهذا الاحتمال ممكن، خاصة في حالات الغزو وتحكّم الآراء الشخصية. وهذا ينطبق على ثقافة الشعوب الأخرى بما فيها مكة قبل الفتح، حيث تم تحطيم التراث الوثني، ليحل التراث الاسلامي محله.

الأصل العربي

س٦: طارق الكناني: هل كان الشعور القومي في مصر يخص فئة من المصريين؟ وأقدر أن أقول ممن لديهم أصول عربية أحفاد أولئك الذين جاءوا مع الإحتلال الإسلامي (تسمح لي بهذه العبارة لانها الأصدق لمفهوم الفتح) وهم من قاد هذه الحركات دون الأقباط...أي بمعنى آخر مثلما فعل السنّة بالعراق برفع لواء القومية العربية دون الشيعة...هل هذا ما أردت الوصول اليه أم ماذا؟

ج٦: ماجد الغرباوي: ليس الأمر كذلك، بل هناك أكثر من دافع للتشبث بالقومية كما تقدم، ومن الدوافع الأخرى، أن التشبث بالقومية العربية كان ردة فعل ضد التغريب الذي تشبث بالقومية المصرية بدلاً من القومية العربية، لاستيعاب كل التنوع الديني، باعتبار أن هؤلاء كانوا لا يفرقون بين القومية العربية والإسلام، فبدلا من الدعوة الاستفزازية لاستبعاد الإسلام دعوا لتبني القومية المصرية في مقابل الدين والعروبة.

وآخر تمسّك بالقومية العربية عقيدة ومذهباً للتحرر من التبعية العثمانية التي ترفع شعار الاسلام كإطار بين الشعوب المسلمة، كما بالنسبة لغير المسلمين في بلاد الشام ومصر والعراق.

فليس بالضرورة، كما ذكرت في سؤالك، أن يكون أبناء الفاتحين المسلمين هم من تبنوا الحركة القومية عبر التاريخ، وقد بينت بما فيه الكفاية كيف انتعشت الحركة القومية في ظل سياسة جمال عبد الناصر، وكملاذ بالنسبة للأقباط للتخلص من

الرابطة الدينية التي إضطهدتهم بإسم الإسلام.

دعني أتوقف قليلا أمام عبارتك: (أحفاد أولئك الذين جاءوا مع الإحتلال الإسلامي – تسمح لي بهذه العبارة لانها الأصدق لمفهوم الفتح -).

بشكل عام أتحفظ على جميع الحروب والغزوات بعد النبي الكريم، فموضوع الجهاد هو حماية الإسلام، الذي وقفت ضده قريش بكل قوتها، ولم يلجأ الرسول للحرب ما لم تتماد قريش بظلمها وطغيانها وصدها للدين الجديد، وكان أسلوبه معهم أسلوب الأنبياء والمرسلين من قبله، الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ). وقد انتصر الإسلام كدعوة إلهية، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، ولم تعد هناك حاجة للجهاد، وكان يفترض بالمسلمين الدعوة إلى الدين الجديد بنفس الأساليب السلمية التي نجحت في نشر الإسلام في جنوب شرق آسيا بدون حرب. لكن ما حصل من أجل تمدد سلطة الخليفة والسلطان.

ليس من السهل التنازل عن العقيدة، لأنها راسخة في نفس ووجدان وعقل الإنسان برسوخ الثقافة والذكريات والحياة والمناسبات والنشاطات العامة. تختلط بالمشاعر والأحاسيس وتشارك في تنظيم العلاقات. فلا يستطيع أي شخص مراجعة عقيدته بسهولة فضلاً عن نقدها والأكثر التنازل عنها. أما أن نشن حرباً على شعب أو دولة بحجة الدعوة للدين الجديد ونطالبهم فوراً

إما الإذعان أو الحرب، فلا شك أن الطرف الآخر سيهب للدفاع عن عقيدته ووطنه وشعبه، فكيف يسمى هذا جهادا؟؟ وكيف يسمى نصراً وفتحاً؟ للجهاد في الإسلام شروط، وإنما اضطر الرسول للحرب بعد ظلم كبير، تفصيله في محله، وليس لأي أحد إعلان الجهاد ما لم تكتمل جميع الشروط، ولا أظنها تكتمل بعد انتشار الإسلام بشكل أصبح شعوبا كاملة ما عدا الجاليات المنتشرة في جميع أنحاء العالم، ومن يرد أن يبرر حروبه العدوانية فليلجأ لأسلوب أخر غير إعلان الجهاد وتوريط الناس الطيبين بحجة شرعية الحرب والقتال. فما لم يتعرّض ذات الدين لعدوان ماحق لا يصح الجهاد كحكم شرعي.

الصدمة الحضارية

س٧: طارق الكناني: أرجو أن توضّح لنا أكثر، ماهي علاقة الصدمة الحضارية بتشبث المصريين بالقومية العربية، حيث اعتبرته في جوابك أحد الأسباب، بل وردة فعل معاكسة، فماذا حصل بالضبط؟

ج٧: ماجد الغرباوي: أضيف كي تتضح الفكرة أكثر أن الصدمة الحضارية أفرزت ثلاثة اتجاهات، أو ثلاثة مواقف. عندما إقتربت حملة نابليون من مصر ورأى المصريون تقدم الجيش الفرنسي، وجاهزيته بأسلحة ومعدات متطورة، فاق المسلمون والعرب على تخلف مروّع، فكان سؤال النهضة حاضراً، السؤال الذي طرحه شكيب أرسلان: لماذا تقدّم الغرب وتخلّف المسلمون؟ فمن سنحت له الفرصة بعد ذلك لزيارة الغرب وإطّلاعه على مدى تقدم الحضارة الغربية طالب المسلمين بالتخلي عن تراثهم والذوبان بالحضارة الغربية كحل لأزمة التخلف المستعصية. بما يعني أن هذا التيار الذي قاده آنذاك: أحمد لطفي السيد وطه حسين وسلامة موسى وآخرون راح يشكك بالتراث الإسلامي عامة والعربي خاصة، بل راح يشكك بقدرة العقل الاسلامي والعربي على التطور لوجود خلل في وعيه وتكوينه. فالحل بنظر هذا التيار هو التخلي التام عن كل شيء والإلتحاق بالغرب، كخطوة مضمونة للنهوض الحضاري، وهو اتجاه خطير، اجتاحه شعور الانبهار بالغرب وحضارته حد الاستلاب والدونية. شعور أفضى بهم إلى كراهية

الذات، واحتقارها، واتهامها بالعجز والتخلف والإنحطاط. وقد مثّلت شريحة واسعة من المثقفين هذا الاتجاه ودعت إلى تبني قيم الغرب والذوبان فيه. وهو توجّه خطير يكرّس التبعية المطلقة، ويعمّق الشك بالقدرة على تجاوز المحنة، ومعالجة أسباب تخلفها. وهؤلاء، أقصد بالنسبة لمصر، نادوا بالقومية المصرية في مقابل القومية العربية كي تكون حاضنة لتنوع الطيف المصري بعد استبعاد الإنتماء الديني. وهذه الدعوة كانت تعبر عن مظلومية غير المسلمين، وإتهام الإسلام في ظلمهم. فكان أحد شروطهم إضافة للتبعية الغربية العودة للقومية المصرية. فكما أن الحركة القومية في الغرب كانت وراء التحرر من قبضة الكنيسة والرابطة الدينية المسيحية فكذلك دعا هؤلاء إلى التمسك بالقومية في مقابل الرابطة الدينية ، للتحرر من كل تبعات الدين وأحكام الشرعية التي تفضي الى اضطهاد الآخر غير المسلم وانتهاك حقوقه الإنسانية المشروعة. وهذا كان أحد الدوافع المحفّزة لتشبث المصريين بالقومية المصرية.

في مقابل هذا الاتجاه هناك من يرى أن مصر غير منفصلة عن محيطها العربي والإسلامي رغم تنوعها الديني، وبإمكان القومية العربية، خاصة لغتها أن تكون إطاراً جامعاً للطيف المصري بكل أطيافه. فرفعوا شعارات قومية لتوحيد فصائل الشعب المصري، وهذا أيضا دافع آخر وراء التشبث القومي. فهؤلاء ليسوا بالضرورة أحفاد الفاتحين المسلمين كما جاء في السؤال المتقدم. باعتبار أن

الفاتحين قد ذابوا بالشعب المصري، خلال تمادي السنين. كما أن دخول المصريين بالإسلام أعاد تكوين العقل المصري المسلم لينسجم مع توجهاته. وإذا كانت ثمة توجهات قومية لدى بعض المسلمين المؤثرين، كالعلماء والفقهاء وغيرهم، فلا شك انه سيعزز الشعور القومي العربي بفعل سلطتهم على الرأي العام في مصر، لكن كم هو حجمه، وما مدى تأثيره بحيث تتوارثه الأجيال ويبقى فاعلا حتى العصر الحالي؟. خاصة أن الشعور السائد طول حكم العثمانيين هو الشعور الدين، لحاجة السلطنة له، كأداة لضبط الشعوب غير التركية.

ولا ننسى دور جمال عبد الناصر وسياسته القومية وراء ترسخ الفكر القومي وانتشاره كما ذكرت أكثر من مرة.

فالصدمة الحضارية حفّزت جميع الاتجاهات للبحث عن مشاريع تنتشل الواقع العربي والمسلم من تخلفه وتعيد له مكانته وحيثيته، فكانت الدعوة القومية إحدى المشاريع النهضوية المطروحة آنذاك، وكان لها مؤيدون وأنصار كما تقدم.

التحولات الدينية الكبرى

س٨: طارق الكناني: يظهر من إجابتكم المتقدمة أن مصر غيّرت معتقداتها لأكثر من مرّة حيث يذكر العقّاد في كتابه فاطمة والفاطميون عن قضية مهمة وهي قيام صلاح الدين الأيوبي بتغيير مذهب المصريين من التشيع إلى السنّة، بعد قضائه على الدولة الفاطمية وخلفائها.. نلاحظ كيف قنع المصريون بهذا التغيير وأستسلموا له بسهولة.. ولم يتمكن معاوية وغيره من الحكام من تغيير الكوفة، بالرغم من التعسف الذي أبداه الحكام ضد أهلها وأستمر لقرون.. هل يوجد تفسير لهذا الإستسلام المصري وهذا الإصرار العراقي؟ وهل يكمن هذا الإصرار في الشخصية العراقية دون الشخصية المصرية.؟

ج٨: ماجد الغرباوي: نعم مصر كانت فرعونية ثم قبطية ثم مسلمة. ثلاث عقائد وثقافات مختلفة بل ومتقاطعة. رغم وحدة الشعوب المصرية كأرضية وحاضنة لها. فكانت الثقافة الفرعونية تتفاعل ضمن النسيج الإجتماعي المصري، وأيضا بالنسبة للحقبة المسيحية القبطية. والأمر ذاته بالنسبة للإسلام. بشكل عام القوة مؤثرة، وقادرة على فرض ثقافة جديدة، تنسجم مع سياسة السلطة. أما مستوى الاستجابة الجماهيرية فتعتمد على عوامل، بعضها ذاتي والآخر سياسي أو ديني أو ثقافي. فالأقباط بشكل عام كانوا يعانون من الرومان بسبب رؤيتهم العقائدية كما تقدّم، ولما جاء الفتح الإسلامي ولو بقوة السلاح وجدوا فيه فرصة للهروب من

بطش الرومان العقائدي. وبالفعل حصلت استجابة حدّ التخلي عن اللغة الرسمية لصالح اللغة العربية، وغدا الشعب المصري عربيا مسلما، منسجما مع نفسه، وكان حاضنة لعدة دول مسلمة.

السياسة تبقى العامل الأقوى في فرض الثقافة والدين، والشواهد التاريخية كثيرة، فإيران السنية انقلبت بفعل السياسة والقوة الى دولة شيعية متعصبة في ولائها للتشيع. فما حصل في مصر أمر طبيعي قياسا بفترة أمتدت لقرون عديدة، نجزم أن التحولات الدينية والثقافية طالت جميع الشعوب والدول والقوميات. فمصر ليس بدعا منها، وما فعله صلاح الدين الأيوبي يخضع لنفس المنطق. وأما سرعة استجابة المصريين تكشف هشاشة المبادئ العقيدية، خاصة مع وحشية الهجمة الشرسة ضد الدولة الفاطمية ومؤيديها. وتكشف في نظرة أعمق عن وجود تذمر من السلطة الفاطمية فوجدوا في صلاح الدين ملاذاً للتخلص منها.

أما أهل الكوفة فكان لديهم موقف مسبق من معاوية، موقف توشح بدماء غزيرة، فقدوا بسبب عدوانه (علي بن أبي طالب) رمزهم ورمز التشيع الكوفي. فهم معارضة، سلماً وحرباً لمعاوية والدولة الأموية، معارضة يتحينون الفرص للإنقضاض عليه والتخلّص من استبداده وسيطرته وطغيانه. معارضة تنوء بالندم على مقتل الحسين وخذلانه وتريد أن تثأر له ولها. ومثل هذه المعارضة معبأة دائما ضد الآخر الأموي. فلا تستجيب له إلا بالإكراه وبشكل محدود، إذاً لا بد من أرضية للتغيير، وما لم تتوفر هذه الأرضية لا يستطيع الآخر

فرض ثقافته وأساليبه الحضارية. من هنا تفهم الإجابة على سؤالك المتقدم. وتعرف الفارق بين مصر وأهل الكوفة.

القومية والتبشير

س٩: طارق الكناني: يبدو لي هناك غمز في أهداف القوميين العرب وممن حمل هذه الشعارات ولو بطرف خفيّ فحين تقول: إن دوافع حاملي شعارات القومية من غير العرب والمسلمين كانت دوافع تبشيرية للديانات الأخرى وخصوصاً المسيحية...لماذا لم نجد أثراً لهذه البعثات التبشرية على الأرض ولكن نرى أن أغلبهم قد أعلن إسلامه ومثال ذلك (ميشيل عفلق) مؤسس حزب البعث.. ولا أعرف هل كان إسلامه حقيقياً أم لا ولكن قيادة الحزب بالعراق أعلنت ذلك ولم يقام له قدّاس في الكنيسة ماتقول في هذا؟

ج٩: ماجد الغرباوي: قلت كما تقدم: هناك أكثر من دافع وراء تبني غير المسلمين لواء القومية العربية، خاصة في سوريا ولبنان. فراحت تحوم حولهم شبهة التواطؤ مع التبشير المسيحي الموطئ للاستعمار الانكليزي والفرنسي، ولم أقل كما جاء في السؤال: (إن دوافع حاملي شعارات القومية من غير العرب والمسلمين كانت دوافع تبشيرية للديانات الأخرى وخصوصاً المسيحية). وهنا ينبغي التوضيح:

تعود جذور الحركة القومية إلى أوربا، ثم تأسست حركة قومية طورانية في تركيا، نمت في احضانها حركة قومية عربية، انتقلت فيما بعد الى بلاد الشام والبلاد العربية، حيث مرّت بمرحلتين:

اقتصرت في بدايتها على نشاط أدبي -ثقافي واهتمام كبير

باللغة العربية وتاريخها، من خلال جمعيات سرية وآخرى علنية، رفعت شعارات جذّابة، تدعو الى استنهاض الشعور العربي والاهتمام بثقافته ولغته في إطار تاريخي مشترك. وكان أغلب المؤسسين لهذه الجمعيات من المسيحيين، كالجمعية السورية التي أسسها بطرس البستاني وناصيف اليازجي سنة ١٨٤٧م في دمشق. والجمعية السورية في بيروت التي أسسها سليم البستاني ومنيف خوري سنة ١٨٦٨م. وهناك قائمة بالجمعيات في بداية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين في سوريا ولبنان والعراق ومصر، وأغلب مؤسسيها ومنتسبيها من غير المسلمين. فالشبهات إنما حامت حول تأسيس هذه الجمعيات وانتشارها، لأنها تبلورت فكريا في أحضان الحركة القومية (الطورانية) التركية المناهضة للدولة العثمانية التي كانت ترفع شعار الإسلام لكنها اضطهدت غير المسلمين حينما فرضت عليهم الجزية وحرمتهم من حقوقهم الدينية والمدنية إلاّ القليل منهم، فوجد هؤلاء في الحركة القومية ظالتهم للتخلّص من الدولة العثمانية، وقوانينها الجائرة، والتي هي تطبيقات لأحكام الشريعة الإسلامية كما فهمها الفقهاء. وبالنتيجة فالانتقال من الولاء الديني الى الولاء القومي سيكون أفقاً واسعاً للتحرر من أعباء الشريعة الإسلامية وأحكامها. مما استفز بعض رموز المسلمين، وراح يتوجس منها كحركة مناهضة للإسلام. فشبهة التبشير حول هذا الاتجاه تعود الى إقصاء الدين واستبداله بالحس القومي العربي، والدعوة الى تبني الرابطة

القومية بدلا من الرابطة الدينية، وهو ذات الهدف الذي يتبناه التبشير في إحدى مراحله.

ثم تبنت هذه الجمعيات شعارات الحركة القومية في أوربا: (حرية، مساواة، إخاء) مما يتنافى مع نظرة المسلم لغيره، فالفقهاء لا يضعون المسلم وغير المسلم على قدم المساواة، بل فرضوا على الثاني الجزية وحرمانه من حقوقه الدينية، إضافة الى تداعيات الوضع الاجتماعي الذي كان ينظر لغير المسلم بدونية واحتقار ما عدا الفترة الأخيرة من حكم الدولة العثمانية كما تقدم. فهذا الاتجاه اكتفى بطرح شعارات عريضة تضمن جميع حقوقه من خلال إقصاء الدين وتشريعاته القاسية ضد غير المسلمين. فتبني الشعارات القومية الأوربية وضع هذه الحركات في دائرة الشك مرة أخرى.

ثم التبشير كما تعلم وظيفة دينية لا يتخلى عنها المسيحي، ويسعى لأدائها في كل الأحوال، فكانت هذه الجمعيات وسطا مناسبا لتعميق الشعور بالمسؤولية تجاه وظيفتهم الدينية (التبشير). خاصة في تلك الفترة، التي وطدت هذه الجمعيات علاقتها بالإرساليات التبشيرية الموطئة للاستعمارين الفرنسي والإنكليزي القادمة من خارج الحدود. وهذا الفعل بحد ذاته عمّق الشبهات حول هدف هذه الجمعيات رغم شعاراتها البريئة ظاهرا.

لكن بعيدا عن الاتهامات وإن كانت واردة في إطار الشعور الديني، إلا أن معاناة غير المسلمين مع الدولة العثمانية يمنحهم حق التخلص من التبعية العثمانية بأي أسلوب، لقد كان اضطهادا

حقيقيا أعان عليه رجال الدين ومشيخة الإسلام بحجة تطبيق الشريعة فشوهوا معالم الدين وسماحته. كان ينبغي لرجل الدين اتخاذ موقف صارم ضد اضطهاد غير المسلم، وكان عليهم أيضا الاصطفاف معهم ليبينوا لهم حقيقة الموقف الإسلامي، وحجم تباينه مع السياسة العثمانية.

أما المرحلة الثانية، أي انتقال الحركة القومية من حركة ثقافية أدبية الى حركة سياسية فيمكن اعتبار مؤتمر باريس ١٩٢١م أول حركة قومية سياسية، غير أن تبني جمال عبد الناصر للقومية العربية كان إنطلاقة كبيرة حققت انتشاراً واسعاً بين صفوف العرب في جميع أنحاء العالم. ثم جاء حزب البعث بمنطلقاته القومية مما عزّز موقع القوميين العرب أكثر.

أما عن إسلام أغلب غير المسلمين كميشيل عفلق فليس لدي معلومات كافية، والشخص السياسي براغماتي لا يهمه أن يعلن إسلامه أو يتخلى عنه وفقاً لمصالحه السياسية، فليس هؤلاء قياساً يُعتد به.

فالتداخل بين الأهداف التبشيرية والحركة القومية في بدايتها، تزامنا مع الرحلات والحملات التبشيرية إضافة الى بدايات غزو الاستعمار للبلدان العربية المسلمة أثار شبهات عديدة حول حقيقة أهداف الحركة القومية في مرحلتها الثقافية، فغير المسلم يرى في الاستعمار فَرَجاً كبيراً للتخلص من الاضطهاد الديني. أما في المرحلة السياسية فقد عُرف عن القوميين مناهضتهم للاستعمار ولو

من أجل طمأنة شعوبهم. وإلا فإن الإستخبارات الأمريكية كانت وراء مجيء البعث الى العراق عام ١٩٦٨.

والحقيقة ليس المسيحون فقط متهمين في تبنيهم القومي بل حتى جمال عبد الناصر متهم هو الآخر في تبنيه للقومية العربية، حيث أراد من خلال تبنيه للقومية العربية قمع حركة الإخوان المسلمين وشعاراتها الإسلامية. من هنا راح يفرّق بعض الباحثين والمفكرين بين القومية العربية والناصرية التي اتخذت منه رمزا وحرصت على تكريسه في ظل مد قومي اجتاح المنطقة العربية تحت ظروف خاصة. والأمر ذاته بالنسبة للرئيسين حافظ الأسد في سوريا وصدام حسين في العراق، حيث حاول البعض الفصل بينهما وبين البعث كفكرة وعقيدة واستراتيجية وشعار وهدف وحزب، واعتبروا وجودهما إكراها للبعث. لكن هؤلاء لم يبرروا لنا السلوك البوليسي لأعضاء حزب البعث في كلا الدولتين!!.

كما أن تداعيات تبني الحركة القومية لا تقتصر على ما تقدّم، فتداعياتها كانت أكبر حينما استفزت الشعور القومي غير العربي، فراحت الأقليات تطالب بحقوقها القومية وتدعو للانفصال كما بالنسبة للأكراد في سوريا والعراق، فأحدثت وما زالت تحدث مشاكل سياسية وأمنية كلفت حكومات وشعوب تلك البلدان غاليا. وبالتالي فالحركة القومية هي الأخرى ليست بريئة في أهدافها. لهذه الأسباب وغيرها ترى الشبهات تحوم حول أي نشاط قومي، من قبل المسلمين وغيرهم.

مصر والتشيّع

س١٠: طارق الكناني: ما زال المصريون ينتمون للتشيع بكل ثقافتهم وطرائق حياتهم فهم يمثلون الجانب المعتدل والمسالم لدى الأمة الإسلامية نحن نرى ثقافة التشيع لدى المصريين ما زالت قائمة بإحتفالاتهم ومناسباتهم ومراسيم هذه الاحتفالات مأخوذة عن الشيعة... هل تعتقد أن هذه الروح المجبولة على لين العريكة والجنوح للسلم هي إرث الحضارة الفرعونية تأصلت بالشخصية المصرية؟ أم هي ما بقي من ثقافة التشيّع عند المصريين؟ هذا إذا استثنينا الفكر الأخواني والمنتمين اليه.

ج١٠: ماجد الغرباوي: بشكل عام هذا الكلام صحيح فالشعب المصري شعب طيب، متسامح، رغم بعض الإحتكاكات على يد متطرفي الديانتين، الإسلامية والقبطية. لكن للإسف يبدو ثمة من يعزف على وتر ثنائية المسلم والكافر، ليحرم الأقباط حقوقهم الدينية كبناء الكنائس وفقا لشعائرهم، وإقامة الصلاة من وحي عقيدتهم، مما يهدد مستقبل العلاقة المنسجمة بين الديانتين، ويزعزع الأمن والاستقرار. وهذا أهم الأسباب التي تدفع بعض الأقباط رفع شعار الأمة المصرية.

من زاوية أخرى تعد مصر مصدر الإرهاب فكريا وعقيديا، فالإرهاب الديني نظّر له سيد قطب في مفهومي جاهلية القرن العشرين، والحاكمية الإلهية التي أخذها عن أبي الأعلى المودودي وطوّرها. وهذان المفهومان يكفّران الشعوب المسلمة فضلاً عن تكفير

الحكومات التي يجب مقاومتها حسب عقيدة سيد قطب، الذي اتسمت كتاباته بروح ثورية يعشقها الشباب حد التضحية بإيمان صارم. وسيد قطب أديب، يمتلك لغة أخاذة ألهبت مشاعر الشباب ودفعتهم نحو العنف من أجل إقامة دولة إسلامية، فكان السبب في كل إراقة دماء المسلمين، فكانت أول العمليات الجهادية كما يسمونها في مصر خاصة أحداث الكلية العسكرية ١٩٨١م وغيرها، بامكانك الاطلاع على التفاصيل في كتابي: (تحديات العنف). لكن بلا شك أنك تقصد الشعب بعمومه، وهذا كلام صحيح بمجمله، وهو طبيعة الشعب المصري. حيث لعبت عدة عوامل في تكوينها، أسوة بغيرها من شعوب العالم. ذكرت في جواب متقدم كيف غيرت قرارات محمد علي باشا نظرة الشخص المسلم للقبطي. قبلها، كان الدين هو المرجع في تحديد علاقة المسلم بغيره، فكان المسلم ينظر للقبطي بدونية واستعلاء، ويحرمه حقوقه الدينية لإنها كفر وشرك بالله العظيم، وتحد صريح للمسلمين، أما بعد القرار فأصبحت المواطنة ركيزة التقييم، وأساس نظرة المسلم لغيره. ما أريد قوله أن سياسة الحاكم تلعب دوراً خطيراً في توجيه بوصلة العلاقات الاجتماعية بين أفراد الشعب الواحد. ثم تأتي الظروف الطبيعية والموقع الجغرافي وعلاقات الجوار، كل هذه الأسباب وغيرها تلعب دوراً في بناء ثقافة الفرد والمجتمع، وصياغة شخصيتهما. ولا ننسى العادة والتقاليد والتراث والرموز والفن. لذا لا نستبعد فاعلية الإرث الثقافي للفراعنة، وللشيعة إذا كانوا بالفعل يتمتعون آنذاك بصفة التسامح

واللاعنف. أما راهنا فلم نسمع عن شيعة مصر تشبثهم بالعنف كما هي الحركات الإسلامية السنّية المتطرفة. بل انتشر التشيع حداً أقلق المرجعيات الدينية السنّية فأعلنت النفير ضدهم. هذا التقبل السريع للتشيع يُنبئ عن وجود أرضية ساهمت في انتشاره، أرضية تستمد وجودها من الإرث التاريخي للتشيع كما تفضلت. لا أريد أن يفهم من كلامي الصفات الأيجابية التي تحدث عنها السؤال منحصرة بطائفة أو فئة خاصة، بل هي صفة عامة للشعب المصري عموماً.

وبالتالي هناك خصائص مكتسبة وأخرى متوارثة، وجميع العوامل تؤثر في الشخصية الاجتماعية ما دامت هناك أرضية واستعداد للخير والتسامح لدى الشعب. وليس بالضرورة أن يكون الفراعنة والشيعة وراء أصالتها، رغم أني لا أنفي ذلك مطلقا، لكنني أشكك خاصة عندما أنظر للأبعاد الأخرى في كليهما. فأرجح أن الطبيعة المصرية طبيعة متسامحة طيبة، تطاوع الخير وتستجيب له، بعيدا عن العوامل التاريخية، وهي صفات إيجابية، لكن ليست دائما خاصة مع وجود خطاب ديني يعزف على مشاعر الفرد ويراهن على طيبته وبساطته. فتداعيات البساطة كانت كبيرة عندما استجابت شريحة واسعة من الشباب المصري لإغراءات خطاب الإخوان المسلمين، وراحت تكفّر الآخرين وتستبيح دماءهم، ولم تفق إلا وقد تفشى العنف وأهلك الحرث والنسل. فلا بد من يقظة الوعي مع الطيبة والتسامح.

المحور الثاني

أيديولوجيا التوظيف السياسي

أسئلة المعارضة والسلطة في العراق

الكفاءة والسلطة

س١١: طارق الكناني: الأشخاص الذين يتعرضون للاضطهاد السياسي سواء كان الاعتقال والتعذيب أو النفي أو التخويف والإرهاب.. ما مدى كفاءتهم وصلاحيتهم لتسلّم مقاليد الحكم في البلاد بعد نجاح حركاتهم أو إنقلاباتهم؟.

إذا كان الجواب بعدم صلاحيتهم لإستلام مقاليد الحكم.. كيف نقيّم تجربة غاندي ومانديلا ونجاحهم الساحق وتحولهم إلى رموز عالمية كبرى وتجاوزوا حدود الوطن؟.

وإذا كانوا يصلحون للحكم كيف تقيّمون تجربة صدام وتيتو وكاسترو وغيرهم من الدكتاتوريات؟

ج١١: ماجد الغرباوي: الزعامة السياسية مؤهلات ذاتية وأخرى موضوعية، لا يصنعها النضال بمفرده، بل يكرّسها ويصقلها ويكسبها خبرة ومبدئية وصموداً وتحدياً أكبر. كما لا أولوية لأي شخص يفتقر لها مهما كانت تضحياته. فلا غرابة أن بعض المناضلين المبدئيين يعتزل السياسة عندما يجد نفسه عاجزاً عن أداء مسؤوليته بكفاءة. فهكذا شخص مبدئي، يتفهم مسؤولية السلطة وشروطها، وطبيعة أدائها الذي يشترط هو الآخر كفاءة نوعية.

فالكفاءة إذاً شرط أساس لتولي السلطة، مهما كانت تضحيات السياسي المضطهد. ولا شك أن للمناضل الأولوية في الحكم، عندما يكون كفؤاً، قادراً على أداء مهامه السياسية،

فهو الأحرص على مصالح شعبه وبلده، والأكثر تضحية ومبدئية.

نعود للسؤال، الأمثلة التي ذكرت نماذج لمناضلين تسلّموا مقاليد الحكم بعد نضال مرير مع الأنظمة السياسية، بعضهم كان حاكماً مثالياً في السلطة، وآخر كان دكتاتوراً وَبالاً على شعبه والعالم. فأين يكمن الفارق الجوهري بينهما، علماً أن أغلبهم يُعد مناضلاً عتيداً؟

الطبيعة البشرية واحدة من حيث استعدادها الفطري للخير والشر "إنا هديناه النجدين إما شاكراً وإما كفورا"، فيتوازن سلوكه وتشرق آفاق الخير في نفسه عندما يتحكّم العقل بعاطفته وجشعه. وحينما ينصاع لنوازع الشر يطغى العنف حداً يتأصل في شخصيته، وينغرس في أعماقه كثقافة وعقل وفكر وسلوك وأسلوب أثير لتحقيق طموحاته، عكساً لمَن يتسم بثقافة مسالمة ونزعة إنسانية متسامحة. وبالتالي فالفارق الجوهري بينهما فارق ثقافي – فكري، حتى العقد النفسية تعود في أعماقها لهذين العاملين. فثمة اختلاف في تكوين العقل وبنيته. لتباين طبيعة المقولات والمفاهيم المؤسسة لأنساقه. فشخصية الدكتاتور تتسم بنزعة عنيفة، تترسخ بالتدريج، بدءاً بتراكمات الفترة النضالية المشبَّعة بالعنف، في ظل عقد نفسية وظروف بيئية وإجتماعية، ثم تأتي مرحلة الحكم وممارسة السلطة التي تمنحه قدرات واسعة، فيستغلها ويتمرّد على الدستور لينفرد بالقرارات والصلاحيات. وتتعمق نزعة العنف لدى هؤلاء عادة عندما يتعرضون للعنف،

فتتقلب ردة فعلهم إلى عنف مضاد، ويصبح العنف ثقافة وعقلا وأسلوبا في الحكم.

كلا الطرفين في أمثلة السؤال كان مناضلاً، بمستوياتٍ مختلفة، فـ"ماندلا" لم يكن عنيفاً رغم اضطراره للعنف قبيل السجن المؤبد، ولم ينقلب تعرّضه للعنف إلى عقدة وعنف مضاد، بل (أبعد زوجته "ويني" عن قيادة الحزب وطردها وطلقها لكونها لجأت لمجابهة العنف بالعنف).. تسلّم "ماندلا" مقاليد الحكم سلمياً عن طريق الانتخابات، وامتنع عن الترشيح للرئاسة دورة ثانية، ما يؤكد أن ردة أي فعل تشترط وجود أرضية ملائمة، وثقافة حاضنة، كما بالنسبة لكاسترو وتيتو وصدام. فالأخير كان معروفاً في الأوساط الحزبية شقيّاً، عنيفاً، اشترك في اغتيال الزعيم عبد الكريم قاسم. فنزعته نابعة من عُقده النفسية وطبيعة شخصيته، لذا كان عنيفاً حتى مع أقرب الناس له، وقد ساق للموت عدداً كبيراً من رفاقه، فضلاً عن أعداد كبيرة من أبناء شعبه بأساليب مختلفة، وسلط السيف على رقبة أبناء عمومته وأصهاره. كما هناك اختلاف بين الاثنين من جهة وصدام من جهة ثانية، فالأخير حطم بلده، جوّع شعبه، وبدد ثرواته، بينما بنى تيتو يوغسلافيا وحرر كاسترو كوبا من حكومة فاسدة. تيتو وكاسترو رموز وطنية حقيقية، وصدام رئيس دولة تسلّط على شعبه فلا تصدق المقارنة هنا، لأن الرمز الوطني يختلف عن الرئيس والمسؤول، فليس كل رئيس رمز وطني. لكن الثلاثة يشتركون

بصفة الدكتاتورية ولعلك ذكرتهم من هذه الزاوية فقط. أي من زاوية الدكتاتورية والاستبداد بالسلطة سنوات متمادية، واحتكارها من قبل أقربائه وأعوانه.

إذاً، الطرف الآخر بطبيعته رجل مسالم، يرفض العنف، يؤمن بالتداول السلمي للسلطة، لا يعاني أية عقدة نفسية، حتى وهو يتعرّض للعنف على يد قوى الأمن في بلاده. يرفض العنف، حتى وهو يتظاهر ويحتج على السلطة في أيام نضاله. فالمسألة مسألة ثقافة ووعي وتفهّم لمفهوم السلطة والحكم، وتواضع أمام الآخرين. وهذا ما اتصف به "غاندي" و"مانديلا: وآخرون. فغاندي كان رجل سلام وتسامح، رفض العنف، والتزم العصيان المدني سلاحاً لنيل استقلال بلاده، وبالفعل حقق أهدافه بعيدا عن العنف. فالمسألة مرتبطة بثقافة الفرد ووعيه وطبيعة تفكيره، ونظرته الخاصة لشعبه وبلده، ومقدار إيمانه بالآخر، وما يحمله من نزعة دكتاتورية وطبيعة عدوانية، وتفرد مقيت بالسلطة والتفرّد بالقرار السياسي.

ثقافة العنف

س١٢: طارق الكناني: هل هذا يعني أن المسألة مسألة ثقافة ولا يتعلق الأمر بالأمراض النفسية مثل (أمراض الفوبيا) أو عقدة الشعور بالاضطهاد أو السادية التي تتولد عند هؤلاء أثناء نضالهم وخصوصاً ممن مارسوا العنف في تاريخهم النضالي السري وتولّدت عندهم هذه العقد، فنحن نشهد الآن هذه الحالة عند قيادات حزب الدعوة بالرغم من أن السلطة جاءتهم على طبقٍ من ذهب ولا فضل لهم بها إلاّ أنهم يمارسون ساديتهم على الشعب؟

ج١٢: ماجد الغرباوي: لا شك أن العُقد والأمراض النفسية تلعب دوراً كبيراً في تعميق نزعة الإرهاب، وهي (أي العقد والأمراض النفسية) تصورات وأوهام مطمورة، تطفو لا شعوريا بين الحين والآخر على شكل سلوك أو مشاعر طالما تكون عدوانية. من هنا أكدت في جواب متقدّم: (العنف ثقافة)، أي حزمة تصورات وأوهام واستنتاجات وتحليلات وأفكار تؤثر في سلوك ومواقف الإنسان لا شعوريا. إذاً فوراء العقد النفسية أسباب ظاهرية وأخرى غائرة، يتعذّر اكتشافها غالبا من قبل المتخصص فضلا عن الشخص نفسه. فعندما يواجه الإنسان رعبا وخوفا شديدا في حياته لأي سبب كان، خاصة في مرحلة الطفولة، أو يعيش منبوذاً، يتلقى نظرات إستعلاء من أقرانه وزملائه بسبب فقره أو قوميته أو لغته، فإن ذلك الخوف والرعب وتلك النظرات الاستعلائية تؤثّر لا شعوريا، وتخلق عقدا نفسية تلعب دورا خطيرا في تفسير وتقييم مواقف وسلوك

الآخرين. لأنها وليدة تصورات خاطئة. ومكمن خطر العقد النفسية عندما تنقلب تلك التصورات الخاطئة الى موقف عدواني. والأخطر عندما يفترض الشخص أعداء وهميين، فيعيش حالة مستمرة من الغليان والتوتّر. فما يواجهه الإنسان من رعب وخوف وتعذيب داخل السجون والمعتقلات أو بسبب الحروب والظروف القاسية، كلها تؤثر في سلوكه وتساهم في خلق تصورات ومواقف نفسية معقّدة. بل أن حالة الريبة والشك والتوجس التي يعيشها السياسيون أيام المعارضة، تؤثر سلبا على تصوراتهم ومواقفهم خلال ممارسة السلطة. وأصدق مثال موقف السياسيين العراقيين من بعضهم البعض، حيث حالة الشك والريبة سيدة الموقف، مما تسبب في وجود أجواء غير ودية، أجواء مشحونة بعدم الثقة بين أطراف العملية السياسية. بينما ينبغي أن تكون الثقة سيدة الموقف بين الأطراف كي تضفي سلاسة على أداء السلطة. وقد عانى أبناء الشعب من هذه الحالة، خاصة عندما يتهم بعض السياسيين الشعب بموالاة صدام، ويرتب على تصوراته موقفا سلبيا من الجميع، يصل حد الخشية من إناطة أي مسؤولية لهم. أو حالة الشك التي تجعل المسؤول يتخوّف من خيانة زملائه في السلطة والحزب. من هنا أجد بعض الناس محقا عندما يدعو الى عزل المعارضة عن السلطة من أجل أداء حكومي قائم على الثقة بين المسؤول وشعبه.

وإذا صدق أن أعضاء حزب الدعوة في السلطة يمارسون ساديتهم على الشعب كما ذكرت في سؤالك، فهذه ظاهرة سلبية تنذر

بمستقبل خطير مع استمرارهم بالسلطة.. يفترض أن يتمثّل السياسي الإسلامي قيم السماء فيتحلى بالصبر والعفو والرحمة وسعة الصدر، لا أن يصب جام غضبه على أبناء الشعب المسكين. السلطة يا سيدي جعلت مبادئ السياسيين على المحك. أتمنى على هؤلاء نزع لافتة الدين والكف عن تزوير الوعي واستغلال الناس خاصة الطيبين والبسطاء.

لقد أساء الإسلاميون قبل غيرهم، رغم أن كل من شارك في الحكومة العراقية ما بعد ٢٠٠٣م إلا ما ندر، مارس الفساد بطريقة وأخرى، وكرّس السلطة له ولحزبه، واستغل منصبه لثراء أبنائه وأقربائه. القضية بنظري لا تقتصر على حزب الدعوة، رغم أنه على رأس السلطة، لأن العملية السياسية برمتها فاسدة، عملية قامت على المحاصصة والمصالح الطائفية والقومية والحزبية، فأثبتت للجميع عدم ولائها للوطن والشعب، بل جعلت المكونات الطائفية والقومية فوق مصلحة الوطن. أنا لا ادافع عن أحد، غير أن مبدأ المحاصصة والتوافق سبب في كارثة وطنية كبرى، فالمسؤول مهما كانت قوته لا يستطيع محاسبة أو رفض أي مسؤول فرضته المحاصصة والتوافق السياسي غير المعلن. في هذه القضايا أنا استخدم صيغة الجمع، أعمم ولا أخص طرفا دون آخر، رغم أن حزب الدعوة واجهة السلطة والمسؤول الأول فيها.

الصمت الدولي

س١٣: طارق الكناني: من هذا نفهم أن الذي يتعرض إلى عملية اضطهاد نفسي وجسدي هو إنسان معرّض للإصابة بهذه الأمراض ويشبه حاله حالة الأسير الذي يصاب من حالة فوبيا الأسر ولهذا هناك تشريع دولي بعدم تجنيد هؤلاء الأسرى العائدين مرة أخرى لصالح الجيش. وعليه:

لماذا لايصار إلى تشريع عالمي في حجب هؤلاء عن تسنم السلطة أو يتم حجبهم بموجب قانون دولي عن مناصب القيادة... وتكريمهم بشكل يليق بهم دون أن يتم تسليطهم على رقاب الناس؟

ج١٣: ماجد الغرياوي: تقدّم ليس هناك تعميم كي يصار إلى قرار دولي لحجب هؤلاء عن السلطة، فكما هناك مناضل مارس العنف بكل أنواعه، كصدام وتيتو وكاسترو وآخرين كثيرين، هناك من لم تؤثّر به ظروف النفي والسجون والاضطهاد والتشرّد خلال نضاله، وظل شخصاً مسالماً، يرفض العنف والقوة، يتشبث بالتسامح، يؤمن بتداول السلطة سلميا. إذاً المسألة مرتبطة بالفرد ونزعته العنيفة. فهكذا قرار سيكون مجحفاً، نخسر بسببه شخصيات مهمة وكبيرة، كمانديلا وغاندي وآخرين كثيرين. شخصياً لدي زملاء إعتقلتهم السلطات العراقية في عهد صدام حسين لسنوات طويلة، ومارست ضدهم أنواع التعذيب والاضطهاد النفسي والجسدي، لكنهم لم يتأثروا بظروف الاعتقال إلاّ القليل منهم، فأغلبهم متسامح، ودود، رغم بعض التصدعات النفسية،

بينما تأثر بعضهم بظروف الاعتقال، وظل يعاني ويعيش عزلة طويلة، تحت وطأة عقد نفسية متنوعة. ما أريد قوله أن الأمر مرتبط بالشخص وطبيعته ومدى إستعداده وقدرته على التحكم بسلوكه وعواطفه ونفسه.

ثم أن كثيراً من غير المناضلين المتسامحين عندما تسلّموا استبدوا بها، وتفرّدوا بقرارها السياسي. وانقلبوا الى شخصيات عدوانية، صادروا حرية الشعب، سلبوه حقوقه المشروعه، وانتهكوا حقوق الإنسان. فالمسألة إذاً مرتبطة بطبيعة الشخص ونزعته العدوانية واستعداده لممارسة العنف، وكيفية فهمه للسلطة. وعليه يجب اتخاذ قرار دولي يحاسب بموجبه رئيس الدولة حينما يستبد بالسلطة أو يتخذ قرارات تعسفية ضد شعبه ووطنه، والشعب غير قادر على ردعه، بهذا نربح الشخصيات المناضلة المخلصة لمبادئها، ونتخلّص من جميع رجال السلطة حينما يستبدون بالحكم ويمارسون دكتاتورية مقيتة.

الموقف الأمريكي

س١٤: طارق الكناني: ما أردت قوله : لماذا نرى العكس. ففي حالة مثل العراق راحت أمريكا تجمع كل هؤلاء المعارضين من شتى أصقاع الأرض وسلمتهم العراق على طبق من ذهب، هل يوجد تفسير لهذا الفعل بالرغم من أن الكونغرس الامريكي صادق على مشروع تحرير العراق واعتبر صدام محتلاً للعراق -وكما يصرّح الأمريكان -لكونه انتهك حقوق الانسان واضطهاده لشعبه وهاهم من جاءت بهم أمريكا قد فاقوا صدام حسين بالوحشية والسرقات بل بيضوا صورة صدام. ومع ذلك نرى صمتاً عالمياً تجاه جرائمهم بل وراحوا يلتمسون لهم الأعذار وأعتبروهم خطوطاً حمراء لا يمكن المساس بهم وهددوا الشعب العراقي في حالة التعرض لهم، ونفذوا تهديدهم، فبعد اقتحام المنطقة الخضراء في هذا العام ٢٠١٦م من قبل الشعب حدثت كوارث يندى لها جبين الإنسانية وكل الدلائل تشير إلى الساسة تورطهم في تنفيذ هذه الجرائم؟

ج١٤: ماجد الغرباوي: الأمر بالعراق مختلف، فليس جميع القادة مناضلين بالمعنى السلبي، أقصد لم يحملوا السلاح ويقاتلوا النظام، رغم ممارستهم للعمل السياسي في المهاجر. كما أن بعضهم لم يفكّر بالسلطة قبل سقوط نظام صدام حسين، وإنما تسلق للحكم في ظل ظرف جديد، وفراغ سياسي فرضته طبيعة تشكيل الأحزاب السياسية. فالطائفية فرضت نفسها، والقومية، والولاء، والقرابة النسبية والسببية. كل هذا ساهم في صعود

شخصيات غير كفوءة تسببت في كارثة سياسية بل وسيادية فضلاً عن خسائر جسيمة بالثروات والطاقات، مع اختلال الأمن والنظام، وتفشي السرقات والإغتيالات وجرائم كثيرة كلنا نعرفها.

أما لماذا أتت أمريكا برموز المعارضة للسلطة كما جاء بالسؤال، فلأن هذه الرموز هي المتصدي الوحيد لمعارضة صدام حسين، فكانت نشطة دبلوماسياً من أجل اقناع أمريكا والدول الأخرى بضرورة إسقاط نظام الحكم، بعد أن يأست من اسقاطه بمفردها بل وحتى بمساندة دول الجوار. فكيف تأتي بغيرهم؟ ومن أين تأتي؟ هي لا تعرف أي شيء عن العراق إلاّ بواسطة المعارضة، والمعارضة هي التي رسمت صورة للعراق وشعبه بأذهان الأمريكان وغيرهم.

الشيء الثاني، لم يظهر على رموز المعارضة آنذاك، وفي جميع المهاجر في العالم ما يشكك بوطنيتهم بشكل جليّ وواضح إلاّ بحدود ضيّقة. فكان قادة المعارضة يتمتعون بدعم ومساندة قواعدهم. يربطهم تاريخ ومعاناة وهدف مشترك. فالتواضع والبساطة في سلوك قادة المعارضة كان واضحاً، وكان الإخلاص سيد الموقف، غير أن السلطة قلبت الموازين يا صديقي، وأظهرت لنا شخصيات أخرى، ليست هي ذات الرموز التي كانت تشاركنا خنادق المعارضة. هل كنّا على قدر كبير من السذاجة؟ وهل كنّا مخدوعين بمظاهر التواضع والبساطة؟ ربما كان بعضهم فاسداً

من الأول. ربما كان يتربّص وينتظر ونحن لا نعلم!. أو أن إغراء السلطة فعل فعله!.

ثمة حقيقة، كان سلوك بعض رموز المعارضة العراقية في الخارج يبعث على الريبة والشك بشكل محدود لدى الواعين من الناس، لكن المنطق الأيديولوجي كان يكرّس التبرير، ويرفض النقد والتقويم، في ظل صراع محتدم بين فصائل المعارضة خاصة الإسلامية، أو بين الإسلاميين وغيرهم. وليس كالسلطة فضحتهم وعرّت ممارساتهم الخاطئة. كان بعضهم يتمتع بحياة مترفة، ويعيش كالملوك سفراً وسكناً، لكن منطق التبرير لا يسمح بالنقد إطلاقاً.

منطق التبرير

س١٥: طارق الكناني: تقصد أن النظرة الحزبية الضيّقة هي من منعت الإنتباه إلى تصرفات رفاق النضال ومن ثم محاكمة هذه التصرفات داخل إطار الحزب وبالتالي سمح هذا التهاون لصعود هذه النخب إلى سدة السلطة وبالتالي كان منهم ماكان.. لا نريد أن نطيل الوقوف عند هذا الموضوع....لكننا نجد أن منطق التبرير مازال قائماً عند الكتل السياسية ففي أحد الأيام خرج علينا سياسي يريد أن يستنسخ رئيس الوزراء ألا تجد أن هذا هو نفس منطق الدكتاتوريات؟

ج١٥: ماجد الغرباوي: هذا هو المنطق الآيديولوجي، وهذه هي سلبياته، لا على صعيد السياسة فقط بل على مستوى العقيدة والفكر. بمنطق التبرير يُكرّس الخطأ على حساب الحقيقة، وهو منطق سائد عادة، لا لدى أحزاب المعارضة العراقية فقط، بل في كل مكان إلا ما ندر، ربما تفرضه الظروف من أجل التماسك الداخلي.

أما عن المثال في السؤال، فوراء هذه الحالة أكثر من سبب، منها: حالة الانبهار بشخصية القائد حد الانسحاق بحيث لا يجد له نداً، فيعتبره قائد الضرورة، والقائد الفرد، ويعتبر سلوكه مثالياً ينبغي استنساخه دائماً كضمان أكيد لاستمرار النظام وسيادة القانون. وللأسف الثقافة العربية ثقافة قبلية تكرّس هذا المفهوم، الذي يكرّس هو بدوره وجود الدكتاتور والمستبد والمتسلط ويقنع

بـه قائـداً ومثـالاً أعلـى، مهمـا كانـت سـلبياته، فيهتفـون لـه وهـو يسحقهم، يطيعونه وهو يُذلهم، ويرتضونه حكماً وهو يضطهدهم.

في ثقافة الغرب لا يوجد مفهوم القائد الضرورة، ينهي الرئيس دورته الرئاسية ويرحل ليحل محله رئيس وقائد جديد، فلا استبداد ولا دكتاتورية. فالنموذج الذي ذُكر في السؤال وليد هذه الثقافة، ولا أنفي دوافعه الأخرى، الآيديولوجية والسياسية، خاصة مصالحه الشخصية.

نحن بحاجة الى استنبات مفاهيم جديدة عن القائد والرئيس، مفاهيم تعطي الشخص حقه، لا ترقى به الى مستوى الضرورة فيتحول الى دكتاتور ومستبد يضطهدنا ونرضى به حاكما بل ونقدسه. كما ينبغي أن تنطفئ والى الأبد نزعة الانبهار بالأشخاص، خاصة في مجال السياسة والحكم، لأن الانبهار والتقديس سيكون على حساب مصالح الشعب والوطن. ذكرت أكثر من مرة أن الديمقراطية ثقافة قبل أن تكون نظام حكم، فلا نجاح للديمقراطية في بلد لا يحتضنها ثقافيا، فهي منظومة أفكار وتصورات تتنافى مع الاستبداد والدكتاتورية والتفرد وقائد الضرورة. فلا تستغرب من هذه الدعوات. العراق بحاجة الى وقت طويل كي ينزع عن كاهله عبء سنوات طويلة من الاستبداد والدكتاتورية، والتقديس الراسخ للشخصيات الدينية والتاريخية والسياسية.

الخيانة العظمى

س١٦: طارق الكناني: لا بد لي أن أتوقف عند هذا القول الذي تقدم في جوابك: (فلأن هذه الرموز هي المتصدي الوحيد لمعارضة صدام حسين، فكانت نشطة دبلوماسياً من أجل إقناع أمريكا والدول الأخرى بضرورة إسقاط نظام الحكم، فكيف تأتي بغيرهم؟)

قديماً عندما كان الملك يتعرض لمؤامرة في بلده ويستلب عرشه يلجأ إلى حلفائه من الممالك لنجدته كما فعل الكثير ومنهم أمرؤ القيس. وفي أوربا يتكرر هذا المشهد عبر تاريخها القديم كثيراً... وهذه مرحلة انتهت، وبدأت الشعوب تنتبه لسيادتها وتهتم بمسألة الحاكمية والعدالة ومفاهيم كثيرة، واستخدام أدوات السلطة من قبل الحاكم ولم تعد تلجأ إلى الأسلوب القديم لأنها تؤمن أن الشعب هو من يجب أن يحكم نفسه. وهذا يحتم بأن النضال يبدأ من الداخل ومن غير الممكن أن يبادر المناضل باستعداء دول أجنبية وتحريضها على إحتلال بلاده حتى يتسنى له هو أن يستلم مقاليد السلطة فهذه العملية عفا عليها الزمن وتجاوزتها الشعوب لما تسببه من كوارث إجتماعية واقتصادية وسياسية وإلغاء للسيادة الوطنية فضلاً عن العار والذل الذي سيركب هؤلاء...

والسؤال: هل تعتقد أن ماقام به هؤلاء ينضوي تحت عنوان الخيانة العظمى؟ أم الوطنية؟

ج١٦: ماجد الغرباوي: نسّقت المعارضة العراقية مع القوى الخارجية لإسقاط نظام صدام حسين مرتيّن، الأولى خلال الحرب العراقية الإيرانية. حيث كان التنسيق فرصة كبيرة فرضتها وحدة الهدف، فكلاهما يروم إسقاط نظام صدام حسين. المعارضة بعد خروجها من العراق لم تركن للراحة والدعة، بل راحت تبحث عن موطئ قدم لتواصل نضالها ضد حكومة البعث والطاغية السفاح، فوجدت في إيران أرضاً وظرفاً مناسباً جداً. بمعنى آخر استغلّت المعارضة ظروف الحرب القائمة بين العراق وإيران فنسّقت مع إيران لمواصلة نضالها في ظل هدف مشترك، هو إسقاط نظام الحكم الجائر في بغداد. وتجدر الإشارة، الكلام هنا عن المعارضة وظروفها لا عن شرعية الحرب بين البلدين أو عدم شرعيتها، لأنها قضية أخرى.

المعارضة، لم تخرج من العراق لولا سطوة السلطة وقسوتها مع معارضيها. ولا أظنك تجهل حجم العنف الذي كانت تمارسه ضد أي معارض، بل تداعيات المعارضة كانت تمتد لأهلهم وأقاربهم من الدرجة الرابعة، فالجميع كان يؤخذ بجريرته، ويعاقبون بعقوبات مختلفة كلاً حسب درجة قرابته. وهذا لم يحدث بأي بلد آخر. فالأجواء اضطرّت المعارضة للهروب من البلد، بعد أن ضاقت عليها الآفاق وفقدت كل شيء، والأهم فقدت مؤازرة الشعب الذي اصطف مع صدام ونظام حكمه، إيماناً أو خوفاً أو تملقاً أو نفاقاً (وهذا له أسبابه الموضوعية والذاتية، وربما يكون معذورا أيضا في

ظل ظروف قاهرة لا تطاق). وليس الشعب المقصّر الوحيد، بل المعارضة أيضا مقصّرة، حيث اقتصرت نشاطها على نُخب المجتمع، خاصة الجامعات، ولم تتوغل داخله، ففشلت في كسب تعاطف الشعب في الوقت الحرج، ولا أبالغ إذا قلت أن الشعب لا يعرف عن المعارضة إلا عموميات كما بالنسبة للشيوعيين والاسلاميين كانوا يتهمونهم بالحزب الفاطمي. والحديث ذو شجون، وإلاّ لو كان الشعب يعي دوره ومسؤوليته لما تمادى صدام في ظلمه. لا أنفي قسوة النظام لكن للشعوب مواقف تاريخية. لقد تجرأ حزب البعث على استباحة دماء العراقيين المعارضين وقتل الآلاف بدم بارد، من كل الأصناف والاتجاهات القومية والسياسية والدينية. هجّر الملايين ولم يعترض أحد، هرب آلاف العراقيين من ظلمه وجوره، أباد شباب الانتفاضة، وأصدر حكم الاعدام على كل من ينتمي لحزب الدعوة الإسلامية بأثر رجعي، ليشمل كل معارض داخل العراق وخارجه بعد إدانته بالانتساب لهذا الحزب. قمع أغلب الرموز الدينية والاجتماعية المؤثرة. اجتث شيوخ العشائر. لكن رغم كل ذلك استمر الشعب يدعم مشاريعه، ويخوض معه ثلاثة حروب لا ناقة له فيها ولا جمل، حتى بدد ثروات العراق، وحطّم بنيته التحتية، وأذاق الشعب ذل الحصار ومهانة الإحتلال. فالشعب تتكّر للمعارضة بجميع أطيافها، ورفض مؤازرتها ودعمها، بل أعان عليها، وأنا شاهد على تلك المرحلة داخل البلد. المعارضة يا سيدي أبناء البلد، وليسوا غرباء وطارئين، لكن

هكذا كان يفعل الترغيب والترهيب بالشعب.

ربما كان الشعب مجبرا في موقفه السلبي من المعارضة قاطبة، لكن هو الذي اختار الانقياد المطلق للسلطة تحت ذرائع شتى. فاتهامه بالتخاذل لا يعني بالضرورة إدانته مطلقاً، فهناك أسباب وراء هذا الموقف، منها أنه شعب قبلي، ينقاد لا شعوريا للزعيم والقائد القوي، وشعب عشائري تتحكم به سلطة شيخ العشيرة استطاع النظام شراء ذمم بعضهم وقتل الآخر، حتى خضعت له جميع العشائر. وأسباب أخرى تذكر في حينها. كما أؤكد ثانية، لا أقصد في كلامي الجميع، فهناك شرائح واسعة من الشعب العراقي لا حول ولا قوة لها، قلوبها مع أبنائها المعارضين لكنهم عاجزين تماما عن فعل أي شيء، وبعضهم قلوبهم مع المعارضة وسيوفهم عليها.

نعود للسؤال: ثم نسّقت المعارضة العراقية (ما عدا حزب الدعوة والحزب الشيوعي) مع أمريكا، بعد أن أقنعتها بجدوى تحرير العراق وإسقاط نظام صدام حسين، وبالفعل دعمت أمريكا الأكراد وأمّنت لهم حماية كافية من خلال منطقة معزولة في شمال العراق، ودعمت فصائل معارضة أخرى، كالمؤتمر الوطني برئاسة أحمد الجلبي، عرّاب الصفقات السياسية مع أمريكا. ثم راحت أمريكا والحلفاء يعدّون العدّة لغزو العراق بالتنسيق مع المعارضة العراقية، خاصة الأكراد والمؤتمر الوطني، إضافة إلى المجلس الأعلى (الحكيم). وأزاء هذا التنسيق بين المعارضة وأمريكا انقسم العراقيون حول شرعيته. فالتخوين وعدمه يتبع زاوية النظر.

حسب الظاهر هي (خيانة عظمى)، خيانة كبيرة أن تؤلب دولة عظمى ضد وطنك، فتأتي بخيلائها وتسحق كل شي على طريقتها العنيفة في تسوية الأمور خارج بلدها. لكن من زاوية ثانية تجد ما يبرر موقف المعارضة. فهي لم تلجأ الى أمريكا لولا عجزها عن إسقاط نظام صدام، رغم تماديه في قتل العراقيين خاصة بعد الانتفاضة الشعبانية. فما حدث للشعب على يدي قوى النظام مرعب، لا مثيل له في التاريخ.

كانت أمريكا وراء عدم إسقاط نظام صدام ١٩٩١م رغم الظروف المؤاتية إقليمياً ودولياً، ورغم انهيار الوضع داخل العراق. أمريكا رفضت إسقاط صدام حسين في اللّحظة الأخيرة، بعد دخول المعارضة من إيران، وسمح قائد عمليات عاصفة الصحراء آنذاك الجنرال نورمان شوارزكوف لقوات الحرس الجمهوري بالإجهاز على الشعب والمعارضة، فسحقت التظاهرات ومزقت الشعب أشلاء. من هنا اضطرت المعارضة للتنسيق مع أمريكا لاقناعها مجدداً بجدوى إسقاط النظام، وبصدق نواياهم في تحرير بلدهم بعيداً عن هيمنة إيران والقوى الإقليمية الأخرى، فاستغرق الأمر عشر سنوات، موعد غزو العراق سنة ٢٠٠٣م. عشر سنوات من الحصار والموت البطيء، عشر سنوات من الفقر والجوع والمرض والمعاناة والذل والتبعية المقيته، حتى راح العراقي يتمنى الموت على البقاء عندما يجد نفسه عاجزا عن تلبية أبسط مقومات الحياة له ولعائلته وأطفاله، إنها مأساة كبيرة، كان وراءها صدام وسياسته الرعناء.

س١٧: طارق الكناني: يبدو لي إن هذا الجواب مجرد تبرير غير مقنع لفعلٍ من هذا الحجم، أرجو تقديم أسباب وتوضيحات أفضل.

ج١٧: ماجد الغرباوي: جواب السؤال يتوقف على مقدمتين: هل إسقاط نظام صدام حسين كان واجباً على الشعب العراقي والمعارضة للتحرر من قبضته البوليسية؟

لو طرحنا هذا السؤال على الشعب العراقي بعد سقوط النظام مباشرة لوافق الجميع بلا تردد. وبالفعل لم يتحرك أحد لنصرته لولا الفدائيين العرب في بغداد وقواته الخاصة، الذين مارسوا عنفاً مضاعفاً وأربكوا كل شي. أما لو نسأل ذات السؤال الآن، فكثير من العراقيين سيتراجع عن جوابه السابق ويعلن ندمه واستنكاره بفعل ما شاهده على يد الحكومة الحالية. وهذا خطأ كبير يا استاذ طارق. يجب أن يعلم الجميع أن نظام صدام كان كابوساً خسر الشعب بسببه حياته ومستقبله وأرضه وثرواته، بل لم يسلم منه أحد حتى جيرانه، فلم يكتف بحرب ٨ سنوات مع إيران حتى غزا الكويت، و أخرجته أمريكا ذليلاً مهاناً. فإدانة نظام صدام ثابتة سواء كان الحكم الحالي سيئاً أم لا. نظام صدام نظام بوليسي قمعي حطم العراق وشعبه.

السؤال الثاني: هل يجوز التواطؤ مع قوى خارجية لإسقاط نظام صدام حسين؟

أيضاً سيكون الجواب مختلفاً، بسبب تداعيات السقوط. فقبل السقوط كان الناس يعيشون في أزمة وحصار وقمع ويتمنون سقوط

النظام بأي وسيلة، فسقوط صدام بالنسبة لهم انفراج حقيقي، سواء كان سقوطه على يد أمريكا أم غيره، لأن الغاية بالنسبة لهم في هذه الحالة تبرر الواسطة، فلا يمانعون من إسقاطه. أما حاليا فجواب الشعب سيكون مختلفا، وراح يتهم أمريكا بالتآمر ضد العراق وشعبه، رغم أن ما حصل بعد السقوط له أسباب متعددة، لا فقط أمريكا هي المسؤولة عنه وإن كانت المتهم الأكبر. ليست أمريكا المسؤولة فقط عن تداعيات ما بعد السقوط بل عوامل كثيرة، منها خارجية وأخرى داخلية، وثالثة ترتبط بالشعور الوطني، وتواطؤ بعض الجهات السياسية. ويكفي أن إيران التي أرّقها وجود أمريكا في العراق راحت تجنّد مليشيات مسلحة بدوافع دينية ومذهبية لمحاربة أمريكا، فتسبب وجود المليشيات المسلحة في إرباك الوضع الداخلي. كما سهّلت إيران عبور التكفيريين القادمين من أفغانستان لشن عمليات ضد القوات الأمريكية، وربما دعمتهم بالمال والسلاح، ودعمت الجهات السياسية المناوئة للوجود الأمريكي بالمال والسلاح، وفرضت على القيادة السياسية بالترغيب والترهيب التغاضي بل وتسهيل مهام المليشيات المسلحة لضرب القوات البريطانية والأمريكية، فكانت شحنات الأسلحة تدخل العراق بسهولة ويسر مما أربك الوضع الأمني والسياسي جدا، فإيران لا يهمها سوى مصالحها، مهما كان حجم الأضرار والتداعيات، غير أن بساطة الوعي ساهم في تجنيد عدد كبير من العراقيين الطيبين المأخوذين بالحس الديني والمذهبي.

شخصياً أعتبر اللجوء لأي قوة خارجية (خيانة عظمى) لا تغتفر، سواء كانت أمريكا أو إيران أو السعودية أو تركيا أو أية دولة أخرى، وهي الدول التي تتحكم بمصير العراق للأسف الشديد حالياً. وما زلت (أُدين تواطؤ المعارضة مع أمريكا مهما كانت تبريراتها)، وكان بالإمكان الاستعانة بأمريكا بإسلوب آخر. فيكون السقوط على يد العراقيين أنفسهم. أمريكا دولة عظمى ولها حساباتها وإستراتيجياتها، لا توافق على إسقاط صدام ما لم تضمن مصالحها، سواء تضرر العراق والشعب العراقي أم لا، فكيف نلجأ لها بطريقة مذلّة حيث انتزعت قراراً دولياً بشرعية الإحتلال؟. لكن يبدو أن المعارضة كانت مقتنعة بالتنسيق مع أمريكا بعد أن أيقنت أن الأخيرة تتحكم بمصير العراق ونظام حكمه، وهي القادرة الوحيد على إسقاطه، بل ودعمه عندما أخمدت انتفاضة الشعب العراقي سنة ١٩٩١م، وحالت دون سقوط صدام، فالأجدر التفاهم والتنسيق معها.

هكذا إذاً كان يعتقد قادة المعارضة، وهكذا برروا موافقتهم على على الشروط الأمريكية وما رسمته من خطط عسكرية وسياسية.

ويبقى موضوع الخيانة رأيا خاصة يتوقف على مدى قناعة الشخص بالمبررات الآنفة، مع الأخذ بنظر الاعتبار وضع العراق قبل السقوط وما عاناه الشعب العراقي آنذاك.

الرصيد الشعبي

س١٨: طارق الكناني: دعنا نبتعد قليلاً عن السرد التأريخي للأحداث فنحن شهود على ما حصل قبل وبعد الإحتلال ولدينا الكثير مما نتحاور به عن هذه الأحزاب، وسنأتي على مناقشة هذا التاريخ بالتفصيل لعلنا نقف على حقائق غابت عنّا ولم يذكرها لنا أحد وستكون أنت من يوثقها... ولاينبئك مثل خبير.

والسؤال: إنطلاقاً من قولك أن الشعب تخلى عن المعارضة كلياً سواء كان خوفاً أو تملقاً أو تأييداً للسلطة وهذا قول عميق.. أي أن المعارضة فقدت عمقها الشعبي والوطني وهذا أحد مظاهر الإفلاس السياسي التي تقع به الكثير من الأحزاب.. لكن في حالتنا هذه بالعراق ووجود دكتاتور مثل صدام ما لذي حصل للشعب؟. أو دعني أقول: ماذا فعلت المعارضة بحيث خدشت ضمير الشعب وأضطرته للتخلي عنها؟.

ج١٨: ماجد الغرباوي: المعارضة لا تملك قواعد شعبية عريضة كالمرجعيات الدينية أو الحزب الحاكم، وهذه نقطة ضعف قاتلة، والشعب لا يعرف عنها شيئاً سوى ما يسمعه عبر إعلام الحكومة البعثية الموالية لصدام حسين. كانت خطط المعارضة فاشلة، لم تتغلغل بين الجماهير، ركزت على نخب المجتمع وأهملت الباقين. أما بالنسبة للمعارضة الإسلامية فربما كانت تراهن على المرجعية الدينية، كمحرك أساس للجماهير. فتعتبر عمق المرجعية عمقها، من خلال الانضواء تحت خيمتها، قياساً على الفترة الممتدة ما قبل

الاحتلال الإنكليزي حتى سقوط الملكية، حيث كانت المرجعية الدينية آنذاك قادرة على تحريك العشائر والشارع العراق بسهولة، وما درت الحركات الإسلامية أن كل شيء تغير في ظل حكومة البعث التي عرفت كيف تسحب بساط القيادة من تحت المرجعية، بل وشاهدت كيف تخلى الشعب عنها في أكثر من حدث. إذاً فنشاط المعارضة خاصة الإسلامية كان مقتصرا على نخب المجتمع، والقضاء على هؤلاء وبالتالي القضاء على قواعد الأحزاب الإسلامية أمر يسير، وهذا ما حصل بالفعل مع حزب الدعوة.

نعود للسؤال: فالمعارضة لم تخدش ضمير الشعب كما ذكرت بل اتخذت موقفا مبدئيا لصالح الوطن والشعب. غير أن معارضة نظام الحكم يعد جريمة في نظر شرائح شعبية واسعة مرعوبة بسبب الخوف والبطش، فابتعدت عن المعارضة وانقلبت عليهم، بل وحرضت قوى الأمن ضدهم، لان معارضة النظام في نظرهم إلقاء للنفس بالتهلكة فيستحقون سخط السلطة والشعب.

إزدواج الشخصية

س١٩: طارق الكناني: تقصد ابتعاد المعارضة عن الجمهور كان هو السبب في عدم تكوين قاعدة جماهيرية عريضة وبالتالي تم خذلانها؟

ج١٩: ماجد الغرياوي: أقصد من الخذلان الشعبي أبعد من تبنّي الشعب للمعارضة كحركة سياسية فهذا مستحيل في زمن حكومة الطاغية السفاح صدام حسين، وجهل الشعب بحقيقة المعارضة، بل أقصد من الخذلان معناه الآخر، أسأل عن دوافع شرف ومروءة وغيرة الشعب (أي شعب ومنهم الشعب العراقي)عندما يتعرّض أبناؤهم للقتل والتشريد والتهجير والسجون بهذا الكم الكبير، بل وتقطع رؤوس رموزهم الدينية والاجتماعية والسياسية وهم ساكتون!!، لا تسمع أي احتجاج أو تنديد إلا همسا. وهذا أمر غريب مهما كانت الأعذار فجرائم صدام كثيرة ومتنوعة وبالصميم فكيف يسكت الجميع عنها؟!!.

س٢٠: طارق الكناني: وما هو السبب وراء هذه الظاهرة برأيك؟

ج٢٠: ماجد الغرياوي: بتقديري لهذه الظاهرة سببان:

الأول: مواقف الشعوب ليست مبدئية تماماً بل تنقاد للعقل الجمعي عادة، والعقل الجمعي آنذاك مع السلطة وسطوتها. فنفس الشعب العراقي الذي كان ينقاد للمرجعيات الدينية تخلى عنها عدة مرات وتركها نهباً لسوط السلطان، ونفس الشعب انقلب على

حزب البعث وقاد انتفاضة عارمة ضده سنة ١٩٩١م. فتباين المواقف أو ما يسمه علي الوردي بازدواج الشخصية سبب ذاتي يعود لثقافة الشعب العراقي وقِيَمه ومبادئه ونفسيته ومشاعره وتركيبة عقله وطريقة تفاعله مع الأحداث، واستجابته لردود الأفعال وعوامل أخرى.

لقد ثبت أن الشعب العراقي شعب منقاد لا يستطيع الاختيار في اللحظة الحرجة بل ولا يمكنه اتخاذ قرار مصيري كشعب واحد، فما أن يتفق على شيء حتى يتراجع ويخذّل بعضه الآخر. لهذا يتشبث ليل نهار بقبيلته وعشيرته كظل يحتمي به. فينساق بانسياقها، واليوم يلوذ برجل الدين وعمامته، ويحتمي برجل السياسة ومنصبه. وبالتالي فمصيره رهن إشارة شيخ العشيرة الذي من السهل رشوته وتركيعه، فتركع معه العشيرة كاملة، وهذا ما حصل عندما قمع صدام شيوخ العشائر ثم عاد ومنحهم سلطة، فكسب العشائر بالترهيب والترغيب. والأمر لا يقتصر على شيخ العشيرة بل يشمل رجل الدين والسياسة.

والثاني: العامل الخارجي، أقصد القبضة الحديدية للسلطة، وقوة قمع سلطات الأمن التي لا تتهيب أحداً، فاستباحت كل شيء وصار هم الفرد كيف يحمي نفسه وعياله، بعد أن أصبح الأخ يخبر عن أخيه. لكن هذين السببين لا يبرران موقف الشعب من أبنائه، والأنكى أن الشعب راح يقرّع المعارضة ويدينها، بأنها ألقت بنفسها للتهلكة، وأن مصيرها نار جهنم، وهذا هو الخدش الذي

تحدثت عنه في سؤالك. أي الخوف الرعب الذي أربك الناس جميعاً. فلا المعارضة لديها قواعد شعبية واسعة ولا الشعب تصدى لحماية أبنائه، فبقي ظهر الدعاة مكشوفاً يتلوى تحت سياط البعثيين وقوى الأمن المجندة لقمع الشعب العراقي.

للأسف الشديد لقد سكت الشعب العراقي عن صدام حسين رغم جرائمه الكبيرة بحق العراق، ففي زمنه أصبح نصف شط العرب لايران. وأخذت الكويت جزيرة بوبيان. ودمرت اسرائيل البرنامج النووي ولم يرد صدام. وفي عهده بنت تركيا السدود و جفَ دجلة والفرات. وملأت المقابر الجماعية أرض العراق. وانخفض سعر صرف الدينار من ٣,٣ دولار الى دولار = ٣٠٠٠ دينار، واستخدم السلاح الكيمياوي ضد شعب كردستان. وعرض العراق لحروب مدمرة، وحرض القوى العظمى ضد بلده بعد احتلاله الكويت. واستأثرهو وعشيرته بالبلد وخيراته، واحتكر جميع السلطات. وسفّر ملايين العراقيين خارج البلاد بحجة التبعية الإيرانية، وقتل العلماء، وضجت السجون بالمعتقلين، وملأت دماء الأبرياء مسالك مديريات الأمن، وتحطمت البنية التحتية والاقتصاد. كل هذا والشعب لم يتحرك بحجة الخوف، أليس كل الشعب كان محكوما عليه بالاعدام مع وقف التنفيذ؟ فماذا كان ينتظر وهو يرى بلاده وشعبه في أسوأ الأحول؟.

إخفاق النضال الحركي

س٢١: طارق الكنـاني: إذاً مـا جـدوى أن تقـود المعارضـة نضـالاً لأجل شعب غير مؤمن بها وبنضالها وتخلى عنها كما قلت. أليس من الأجدر بها ترك هذا النضال والإكتفاء بالمراقبة وإعادة النظر في ايديولوجيتها بما يلائم طبيعة الشعب والقيام بنشاط ثقافي وفكري بعيداً عن السياسة وتهيئة ظرف أفضل ومناخ أفضل للعمل السياسي وكانت ستوفر الكثير من الدماء والخسائر؟

ج٢١: ماجد الغرباوي: تعلم أن كل حزب يناضل من أجل مبادئه وأهدافه، ويسعى جاداً بتوسيع قواعده الشعبية، وزيادة عدد مؤيديه. فالحركات الثورية توطّن نفسها من اليوم الأول على وجود تحديات كثيرة كالاضطهاد والنفي والسجن والتعذيب والقتل بل ولا تطمح إلا بعدد محدود من المتعاطفين، ثم تسعى لتوسيع قواعدها. فمسؤوليتها أن تتحرّك وتحاول، فالاعتراض ليس صحيحا ما دام التحرك هو مسؤوليتها الأساسية. لكن لو كان السؤال عن توقيت المواجهة مع النظام فسيكون سؤالاً مشروعاً. فنسأل لماذا تجازف المعارضة في مواجهة نظام لا يعرف الرحمة، ولا يسمح بأي معارضة، ويمكنه تلفيق الأكاذيب وإدانتها بتهمة الخيانة والتآمر، وايضا يعلمون جيدا مدى ضعف مؤيديهم وأنصارهم وقواعدهم الشعبية؟

أما الأكراد فكانوا في حرب دائمة مع النظام ولم تهدأ المواجهات بين الطرفين سوى فترات محدودة ثم تعود لتستعر، وهذه

الحالة قديمة. تساعدهم عليها طبيعتهم الجبلية وقربهم من الحدود.

وأما خارج المنطقة الكردية، فالسلطة هي التي باغتت الإسلاميين السنّة أولاً ومن قبلهم الشيوعيين، وبعض القيادات الإسلامية الشيعية، فلم يكن هناك أيّ تحرك من قبل المعارضة سوى تحركات محدودة جدا، لا تتطلب شن حربا شعواء ضدها، حتى امتلأت السجون بالمعارضين، رغم أن معارضتهم في الغالب سلميّة وفي طورها السري بالنسبة لبعض الحركات، فراحت تخطط لقمعهم والقضاء عليها بشتى الطرق.

ثم ليست الشعائر والطقوس والمناسبات الدينية والاجتماعية والوطنية نشاطا سياسيا تؤاخذ عليه المعارضة رغم استغلالها لها، ورغم ما يتخللها من قصائد وكلمات تغمز بالسلطة وشرعية سلوكها، لكن رعب النظام يدفعه باتجاه الشك والإدانة كمبرر لقمعها، إنه نظام خائف لا يطيق غيره مهما كانت درجة شرعيته.

التحرك الحقيقي للمعارضة العراقية خاصة الإسلامية ضد السلطة كان بعد نجاح الثورة الإيرانية التي ألهبت مشاعر الشباب في العراق والعالم الإسلامي أجمع. فتحرك الإسلاميون الشيعة باتجاه الثورة لاستنساخ تجربتها، معتمدين على فهم خاطئ لمعنى النصر الإلهي، وحسابات غير دقيقة لقوة النظام وتوجهاته والظروف المختلفة بين إيران والعراق، وعدم ضمان الدعم الشعبي، فبقيت بلا غطاء حتى افترستها أجهزة الأمن ومزقتها شر ممزق. نحن نسأل الآن بعد ٣٨ عاما، أما لو سألت أي معارض في ذلك الوقت سينهرك

ويتهمك بعدم الإيمان بالله وبنصره لضعف في يقينك. أما هو فمؤمن بجدوى الثورة حد التضحية والاستشهاد في سبيل مبادئه. أما اليوم فيمكننا الحديث بصوت مرتفع: إن التحرك الإسلامي المعارض ضد السلطة العراقية آنذاك لم يكن موفقاً، وكان خطأ توقيتا وقرارا، حيث كشفت المعارضة جميع أوراقها أمام السلطة، وخسرت قواعدها وأنصارها، ولم تكسب سوى القتل والتشريد والسجون والتعذيب، بل وأنهت الحالة الإسلامية التي كانت متوهجه، فانطفأت من جديد.

طبعا كان الأمر خارج السيطرة، فمن الصعب السيطرة على مشاعر الشباب الثائر، لكن أين القيادات وسلطتها؟ أين رجال الدين ودورهم الحكيم؟ حتى تحرّك المرجع الديني الكبير المفكر والفيلسوف السيد محمد باقر الصدر هل كان صائبا جدا؟

شخصيا لا أدين أحداً، هكذا كانت مشاعرنا، وهكذا كان عنفواننا الثوري، سأمنا حالة الظلم والاضطهاد، والنظام يلاحقنا تحركنا أم لم نتحرك. لكن أؤكد حتى لو لم تتحرك المعارضة الإسلامية فالنظام سيواصل قمعه، ودليلي فترة ما قبل نجاح الثورة الإيرانية، وما فعله بشبابنا، فكيف وقد ألهب نجاح الثورة الإيرانية شباب العالم أجمع؟؟ لقد بعثت ثورة الإمام الخميني الأمل في قلوب جميع الحركيين في العالم. فليست المسألة مسالة جدوى التحرك كما في السؤال، إنما الظرف السياسي فرض التحرك على المعارضة العراقية.

إيران ومنطق الدولة

س٢٢: طارق الكناني: وها أنت في جواب تقّدم تعترف بالموقف العدائي لإيران ضد العراق وهذا موقف يجعل من المعارضة العراقية التي لجأت لإيران ونسقت معها أثناء حربها مع العراق موقفاً خيانياً يجعلهم تحت طائلة القانون العراقي اليوم وغداً فهم متهمون بالخيانة العظمى سواء تمت محاكمتهم أم لا.

ج٢٢: ماجد الغرباوي: إيران دولة تتعامل مع جميع القضايا وفق مصالحها واستراتيجياتها، فلا تغرّك الشعارات. وضمن هذا المنطق شاركت العراق في حربه ضد داعش. هدفها الأول من المشاركة إبعاد داعش عن حدودها بأرض غير أرضها ودماء غير دمائها، فهي الرابح الأكبر بلا خسائر منظورة. وهذا منطق يحكم جميع العلاقات الدولية ليست إيران فقط.

أما عن اعتراضك حول تنسيق المعارضة مع النظام الإيراني: فالمعارضة العراقية ضاقت بها السبل، من ورائها صدام وزبانيته، وليس أمامها في خارج العراق سوى دولتين: سوريا، وكانت مواقفها قلقة وفقاً لمصالحها، ولا تدري متى تنقلب عليك. والدولة الثانية هي إيران التي كانت تخوض بالفعل حرباً ضد صدام، وكانت قد استقبلت قبل ذلك ملايين العراقيين الذين أخرجهم صدام من وطنهم وبقوا في العراء بلا مأوى ولا ماء ولا غذاء. فاحتضان إيران لجميع العراقيين شجع المعارضة على اللجوء لها، فدخلها المعارضون العراقيون بمختلف توجهاتهم السياسية والدينية.

فلجوء المعارضة لإيران ليس تواطؤاً ضد العراق بل وحدة الهدف واحتضان إيران لها شجعهم على التنسيق والتعاون والمكوث على أراضيها. فإيران كانت أفضل بقعة جغرافية تواصل المعارضة من خلالها نشاطها ضد نظام صدام حسين. خاصة أن الأخير استغل ضعف إيران بعد نجاح الثورة وتحرك ضدهم عسكريا، ثم نشبت الحرب، فكان نشوبها مشجعا للمعارضة كي تنسق مع الحكومة الإيرانية وتستفيد من إمكانياتها.

ثم أن أغلب المعارضة العراقية آنذاك شيعية، تحترم وتقدّس مراجع الدين، فهي لا تشك إطلاقا بشرعية التنسيق والتعاون، إذا لم تعتقد (أو بعض فصائلها) بوجوب الإلتحاق بالقيادة الإيرانية التي على رأسها الإمام الخميني بذلك التوهج والهيمنة والكارزمية الفريدة. للأسف من يتهم المعارضة بالخيانة بسبب علاقتها بإيران لا يعرف شيئا عن التقاليد الشيعية وطبيعة العلاقة بمراجع الدين، الذين يعتبرونهم هم القيادة الشرعية الحقيقية، بعد إلغاء الفواصل الجغرافية. الحركات الإسلامية الشيعية نخبة دينية تختلف عن باقي الشعب في طبيعة علاقتها بالمرجع القائد. أما مَن يدين هذه العلاقة لا يضع في حساباته وزنّاً لهذه العلاقة، إنما يدين على أساس وطني، فأي علاقة خارج الوطن مدانة في نظره. بينما المعارضة الإسلامية لا تعتقد آنذاك بشرعية حكومة صدام حسين مطلقا.

إن أغلب المعارضين السياسيين في العالم يلجأون لدول أخرى،

وكثيرا ما تكون الدولة المضيفة في حالة حرب أو عداء مع بلده الأم. فكما لجأ الإسلاميون والشيوعيون الى سوريا وإيران، كذلك لجأ الإخوان المسلمون السوريون الى العراق بعد اجتياح معقلهم مدينة حماه من قبل سلطات الأمن السورية. فاختيارهم للعراق كان صائبا لأن العراق كان في حالة عداء مع نظام الأسد، وكان بحاجة لورقة ضغط يتفاوض حولها مع سوريا، بغض النظر عن مدى شرعية تلك الخطوة. ولو سألت الإخوان المسلمين أو من يناصرهم آنذاك لذكر لك جملة مبررات دفاعا عن موقفهم. فالمسألة كأنها اتفاقا ضمنيا بين جميع الحركات السياسية المعارضة.

كانت المعارضة في إيران تهدف الى تحرير بلدهم من قبضة الطاغية السفاح، فكانت تبرر لنفسها كل شيء من أجل هذا الهدف النبيل. لذا قررت التعاون والتنسيق لاسقاط صدام، خاصة وأن إيران رفعت شعارات دينية ومذهبية مغرية، فلا تصدق حينئذٍ الخيانة، بل هو عمل مبرر، يشبه التحالفات الدولية، فهل التحالفات الدولية خيانة؟؟. الأمر مختلف يا صديقي. نعم لو ثبت أنها كانت تمهّد لتدخّل الحكومة الإيرانية بالشأن العراقي ولو مستقبلا، فهنا تصدق الخيانة. كما لا أُبرّئ بعض الجهات، لكن نحتاج لأدلة قطعية صريحة، كي لا ندين أحدا بلا دليل. تهمة الخيانة تهمة كبيرة جدا، لا تسقط بتقادم السنين وتبقى وصمة عار مدى التأريخ، لذا أدعو للحذر والحيطة في توجيه هذه التهمة

لأية جهة أو شخص بلا دليل شرعي وقانوني.

لا أدري أستاذ طارق أذا عشت محنة المعارضة في داخل العراق وخارجه، أنا أتكلم كشاهد على التاريخ، وأتحدث عن ظروف عشتها.

النديّة وتهافت القوى

س٢٣: طارق الكناني: نعم سيدي المصالح العليا بالبلد لاتحكمها أي قوانين فإيران تنظر إلى مصالحها بالمنطقة، والعراق أيضاً يجب أن يكون كذلك وينظر إلى مصالحه هو الآخر. وكما تم تجنيد الأحزاب العراقية لصالح إيران، تم تجنيد الأحزاب الإيرانية لصالح العراق (سابقا) وهذا منطق سائد في كل الدول المتحاربة، ولايخدش سلوك الدولة التي تبحث عن مصالحها. ولكنها وكما قلت حين تكون التحالفات مبنية على أساس التكافؤ والمصالح العليا للبلد تكون تحالفات.. ولكن ماذا تسمي هذه التحالفات الآن بعد تسليم العراق لإيران وأصبح (سليماني) هو الحاكم الشرعي وبلا مبالغة..هل هذه تحالفات برأيك أم شيء آخر؟

ج٢٣: ماجد الغرباوي: من سوء حظ العراق أنه محاط بدول قوية، ذات تأثير كبير على السياسة الداخلية للبلد، تساعدها في ذلك امتداداتها الدينية والقومية. كما من سوء حظ العراق ذاك الصراع الطويل بين الدولتين الصفوية والعثمانية على حساب العراق ووحدته. فكلا الدولتين تعتبر العراق امتداداً لها وخطاً دفاعياً عن مصالحها، وتسعى بمختلف الأساليب لفرض هيمنتها، فهناك السبب السياسي والآخر الديني، والإقتصادي، ومصالح المذهب، والطرق الى غير ذلك. وبالتالي يعنيها التدخل بالشأن العراقي سياسيا أو دينيا لحفظ مصالحها. ومن سوء حظ العراق ثالثا رثاثة

الوعي ،بعد ٣٥ عاما من تسلط البعث التي إقتضت مصالحه وسياسيته الاستبدادية مسخ الوعي وتجريده، فتحولت بعض شرائحه إلى عقول خرافية، دينية ساذجة يمكن تعبئتها من خلال خطاب ديني ومذهبي يناغم مشاعرها، ويحرّك قواها الثورية، مع ضمانات كبيرة في الآخرة!!. ثم أضف الى ذلك أن الأقطاب السياسية تحتاج لدعم إيران، وإيران إستطاعت بذكاء كسب الفرقاء السياسيين، وترويضهم، فكم من قرار سياسي فشل لتعارضه مع المصالح الإيرانية؟ بل بات من يروم أي تسوية يقصد إيران لقوة تأثيرها على جميع الفرقاء السياسيين العراقيين. حتى السنّة راحوا يتسابقون في كسب ود إيران، فهي الآن صاحبة الكلمة ينسق معها بشأن العراق الداخل والخارج معاً، ولا يستطيع أحد تجاوزها. إيران الآن غير مضطرة للكشف عن تدخلها بالشأن العراقي وهيمنتها على القرار السياسي، بل العكس جعلت الجميع يعتقد بحاجة العراق الماسة لها، بينما العكس أيضا صحيح. فميزان التبادل التجاري بينها وبين العراق بلغ مؤخراً (٩ مليارات) دولارا أمريكياً. وإيران تعتبر العراق خطا دفاعيا ضد داعش فهي معنية بتعضيده عسكريا لدفعه عن حدودها.

فعلاقة إيران مع العراق الآن أكثر من تحالفات، كما جاء في السؤال. إيران تخطط على المدى البعيد بعراق صدى لإيران ليكتمل الهلال الشيعي، كما هو التوجه المذهبي للبلد الذي همه توسع القاعدة الشيعية. وسياسياً تمتد الخطوط الأمامية للدولة

لتطل على موانئ سوريا ولبنان، ويستقيم تصدير الغاز الذي هو أحد أسباب الحرب القائمة في سوريا.

ثم الدعم الإيراني لبعض الأقطاب السياسية ليس مجاناً بل يفرض شروطه على الوضع في العراق، هذا فضلاً عن وجود قواعد سياسية تؤمن أساساً بولاية الفقيه وترفض أي منطق سياسي غيرها. كان منتسبو بدر في إيران يلقّبون المرشد علي خامنئي بالسيد الوليّ، لتأكيد طاعته بإعتبارها واجباً شرعياً. فهل تبرّأوا من ولايته فيما بعد؟ لا أعتقد ذلك، لأن إيمانهم بولاية الفقيه كان عن عقيدة وتربية مفعمة بالمشاعر والأحاسيس والتعاطف، امتدت قرابة عشرين عاماً. فهم يؤمنون بشرعية القيادة وشرعية مصالحها، ودورهم يقتصر على تنفيذ الأوامر وطاعة الولي الفقيه سواء مباشرة أو عبر ممثليه أو من خلال أجهزة الدولة الإيرانية!!. فما تشاهده يا صديقي أمر عادي وطبيعي جداً. أنا لا استغرب أي شيء، ولا أجازف إذا قلت أغلب المواقف السياسية سلباً وإيجاباً من وحيّ المصلحة الإيرانية وإملاءتها. إيران لها مصالح سياسية – اقتصادية في العراق، ولها مصالح دينية ومذهبية، ويهمها جدا التحكم بشأن المرجعية الدينية، بشكل تصب فتاواها ومواقفها لصالح إيران ومصالحه. كما هناك المراقد المقدسة وعشق الشعب الإيراني لها، فَيَهّم إيران التدخل لضبط حركة الزوار لان الدولة الإيرانية تعتبر نفسها مسؤولة عن إقامة الشعائر المذهبية وتأمينها كجزء من شرعيتها!!. فأهدافها متعددة وبعضها يهم الأمن القومي

الإيراني، فكيف يجب أن تتصرف؟ ربما التدخل السياسي أهون الأمور نظرا لاستراتيجية مصالحها، السياسية والدينية والاقتصادية والاسستراتيجية.

انت تطالب العراق بموقف مماثل وهذا غير ممكن لا أقل في الوقت الحاضر حيث البلد منهار سياسيا واقتصاديا وأمنيا، فلا يوجد تكافؤ بين البلدين كي يقف العراق موقف الند من الند. بل أن بعض الجهات السياسية تشعر بحاجة ماسة للعمق الإيراني في مفاوضاتها الدولية. علاقة إيران بالعراق علاقة متداخلة معقدة، والهيمنة فيها لإيران بسبب سطوتها وقوة تأثيرها؟

أنا قلق جداً على مستقبل العراق من الذين يضعون ولاية الفقيه بمستوى ولاية الله ورسوله، خاصة وهم متنفذون في السلطة. إنه أمر خطير يا سيدي، ولعبة الولاءات لعبة خطرة وستفرض نفسها على جميع قرارات الدولة العراقية. إيران سوف لن تثير حفيظة العالم بتدخل مباشر علني من خلال تدخل عسكري كبير أو أحتلال بعض المناطق لأنها ضمنت كل شيء والأمور تجري وفقاً لمخططاتها، فسليماني مخطط يمهّد لتبعيتنا لهم رسمياً.

للأسف الشديد لقد سكت الشعب العراقي عن صدام حسين رغم جرائمه الكبيرة بحق العراق، ففي زمنه أصبح نصف شط العرب لايران. وأخذت الكويت جزيرة بوبيان. ودمرت اسرائيل البرنامج النووي ولم يرد صدام. وفي عهده بنت تركيا السدود و جفَ دجلة والفرات. وملأت المقابر الجماعية أرض العراق. وانخفض

سعر صرف الدينار من ٣,٣ دولار الى دولار = ٣٠٠٠ دينار، واستخدم السلاح الكيمياوي ضد شعب كردستان. وعرض العراق لحروب مدمرة، وحرض القوى العظمى ضد بلده بعد احتلاله الكويت. واستأثرهو وعشيرته بالبلد وخيراته، واحتكر جميع السلطات. وسفّر ملايين العراقيين خارج البلاد بحجة التبعية الإيرانية، وقتل العلماء، وضجت السجون بالمعتقلين، وملأت دماء الأبرياء مسالك مديريات الأمن، وتحطمت البنية التحتية والاقتصاد. كل هذا والشعب لم يتحرك بحجة الخوف، أليس كل الشعب كان محكوما عليه بالاعدام مع وقف التنفيذ؟ فماذا كان ينتظر وهو يرى بلاده وشعبه في أسوء الأحول؟.

س٢٤: طارق الكناني: سمعت احد الزائرين الايرانيين يتحدث عن العراقيين بقوله اعطيناكم كربلاء نظيفة فما فعلتم بها سوى ان تركتوها نهبا للأزبال والقذارة هذا هو تصورهم عن العراق وعائديته لهم!!!، هل تلاحظ كيف يتحدثون معنا؟

ج٢٤: ماجد الغرباوي: تربّى الشعب الإيراني منذ زمن الشاه على احتقار العربي وتبيجل الغربي حد الانسحاق، تجد هذا واضحا عند استقبال مسؤولي المطارات الإيرانية للمسافرين الغربيين، حتى كان شرطة التشريفات في بداية الثمانينات يأدون لهم التحية العسكرية. ولا أدري كيف يتعاملون معهم حاليا. حيث كان الشرطة قريبة عهد من عصر الشاه وقوانينه.

بينما على العكس في تعامل الفرس مع العرب، حتى أن الخوزستانيين وهم عرب الأهواز كانوا لا يستطيعون دخول المدن الفارسية بلباسهم العربي إلا بعد الثورة. وأحيانا يُسمعون العربي كلمات إزدراء جارحة. وعندهم مثل: (**عرب در بيابان ملخ ميخورد سك اصفهان آب يخ ميخورد**)، (العرب يأكلون الجراد في الصحراء، بينما يشرب كلب أصفهان ماء مثلجا). أو ينادون العربي بـ (عربو)، ويقصدون به الحمار، لأن اللفظة الصحيحة للعربي باللغة الفارسية هي: عَرَبَهْ أو عرب!!!.

تبقى عين الإيرانيين على العراق بشكل عام والعتبات المقدسة بشكل خاص، وربما لا تنسى تصريح الشيخ علي يونسي (٨ – ٥ – ٢٠١٥م)، وزير المخابرات الإيراني السابق، ومستشار الرئيس الإيراني، حسن روحاني: (إن إيران اليوم أصبحت امبراطورية كما كانت عبر التاريخ وعاصمتها بغداد حاليا، وهي مركز حضارتنا وثقافتنا وهويتنا اليوم كما في الماضي"، وذلك في إشارة إلى إعادة الامبراطورية الفارسية الساسانية قبل الإسلام التي احتلت العراق وجعلت المدائن عاصمة لها. ومن أقواله أيضا: جغرافية إيران والعراق غير قابلة للتجزئة وثقافتنا غير قابلة للتفكيك، لذا إما أن نقاتل معا أو نتحد"، في إشارة إلى التواجد العسكري الإيراني المكثف في العراق خلال الآونة الأخيرة).

العراق بيئة مثالية لتمدد الإيرانيين فلا يتخلون عنه، ويهمهم تمتين العلاقات بأي شكل حفاظا على مصالحهم وأهدافهم

الاستراتيجية. فلا تستغرب، مع روح التعالي عند الإيراني، عندما يخاطب الكربلائيين بهذا الخطاب. العتبات ستكون كشجرة سمرة بن جندب، حجة سرمدية للتدخل، أضف إلى طموح التحكم بالمرجعية الشيعية الموجودة في النجف، وحاجة السياسيين للدعم الإيراني، وإيمان بعض الفصائل السياسية بشرعية تمدد ولاية الفقيه بل العمل على انتشرها وتوطئة الأجواء لها، وقدرة الإيرانيين على التأثير أمنيا واقتصاديا، حينئذٍ يمكنك تقدير حجم التدخل الإيراني في العراق. فهو حلمهم القديم ولا يتنازلون عنه.

□

المحور الثالث

المواقف السياسية وتداعياتها

خيانة الشعب

س٢٥: طارق الكناني: نعود للجواب السابق حول خروج المعارضة من البلد ، ألم يكن خروجهم من الساحة العراقية مبكراُ سبباً رئيسياً في فسح المجال لحزب البعث ومن ثم صدام في التفرّد بالسلطة وممارسة دكتاتوريته دون وجود معارض؟

ج٢٥: ماجد الغرباوي: يا صديقي لم تكن المعارضة تياراً منافساً لحزب البعث، ولم تنجح في توسعة قواعدها الشعبية كما تقدم، بسبب سياستها الفاشلة ورهانها على المرجعية الدينية. ثم أن النظام لم يسمح بوجود أية معارضة بعد أن تفرّد بالسلطة وأحكم قبضته عليه. كانت المعارضة تلوذ بالصمت، يطاردها الرعب. هل تنسى ما فعله صدام حسين بالأكراد والشيوعيين وحزب الدعوة؟ لقد مُلئت السجون، وضجت المعتقلات، وطفحت أحواض التيزاب، وانتشرت المشانق. قصر النهاية يشهد لذلك، ومديرية الأمن العامة تفضح ممارساتهم. كان لا يفهم سوى العنف والنار أسلوباً للتعامل مع معارضيه. وهل سلم البعثيون من بطشه، أم أعدمهم علناً في حديقة القصر الجمهوري (عدنان حسين ومحمد عايش وجماعتهم)؟ هل تتذكر كيف تعامل مع المسيرة الراجلة، أو ما يعرف بـ (المشاية) على طريق النجف – كربلاء. وماذا فعل بالمتظاهرين في مدينة الكاظمية، وحوادث كثيرة؟ وماذا فعل بالمنتفضين عام ١٩٩١م؟.

فالمعارضة كانت بين خيارين، إما البقاء داخل العراق،

والإستسلام لموت محقق تحت أي ذريعة كانت. أو الهروب خارج البلد على أمل توفر فرصة أفضل أمنّاً ومعارضة. العراق ساحة تفرّد بها نظام صدام حسين وأعوانه. ولم يستطع أي معارض لا من الأكراد ولا من الحزب الشيوعي ولا من حزب البعث الموالى لسوريا، ولا من حزب الدعوة ولا غيرهم الصمود والتصدي. بل حتى البرلمان رغم وجود اتجاهات سياسية مختلفة لكنها مضمونة في ولائها لقائد الضرورة سلفا، وبالتالي لا توجد أية معارضة حقيقية داخل البرلمان، سوى مناقشة بعض القوانين وتصفيق مستمر للقائد الضرورة. فالقرارات الجادة والمصيرية كانت تملى عليهم، وتبقى مهمتهم المصادقة عليها.

س٢٦: طارق الكناني: نعم لقد فعل صدام حسين ما فعل بالشعب العراقي، حين أراد الشعب أن يعبّر عن مظلوميته وحين انتفض بوجه الطاغية فكان نصيبه المقابر الجماعية وقد دفن أغلبهم وهم أحياء وكنت شاهداً على هذه الأحداث.. ولكني أستغربت في حينها من موقف أحزاب المعارضة فالفرصة كانت سانحة للتغيير دون أي تدخل أجنبي ولا أعرف ما الذي منعها من الدخول للعراق لإجراء التغيير وهي تملك الكثير من المقاتلين والأسلحة وكان الجمهور بحاجة إلى قيادة فقط ولم تتوفر، لماذا تركت الشعب يواجه مصيره دون توجيه منها؟

ج٢٦: ماجد الغرباوي: ذكرت في جواب متقدم أن المعارضة دخلت عبر الحدود الإيرانية منذ الساعات الأولى لسقوط النظام وتوغل بعضهم في عمق الأراضي العراقية، وتحركت فيما بعد مجاميع كبيرة،

بعضها مسلح والآخر لوجستي، كما وصلت مساعدات مختلفة إلى الحدود، وكنت معية بعض الاصدقاء باتجاه البلد حيث هبَّ جميع العراقيين للعودة، وبدأت العوائل تعد نفسها للرحيل، لكن سارت الرياح بما لا تشتهي السفن، فالأخبار راحت تؤكد اجتياح الحرس الجمهوري للمدن العراقية، وملاحقة المنتفضين، بأوامر أمريكية لكسر خطوط المعارضة الداخلية أو القادمة من الخارج. فَعُدنا من حيث أتينا نتعثر بخيباتنا من جديد. ورغم بروز قيادات ميدانية غير أن قوة النظام وطريقة استخدامه للقوّة حطّم كل شيء، وبالتالي هربت أعداد كبيرة جداً لخارج العراق كرفحة في السعودية، وإيران وسوريا وشمال العراق. القيادات الداخلية استلمت المبادرة لكن للأسف الشديد بلا تنسيق ولا مركزية ولا تخطيط قيادي، فمزقتهم قوات الأمن. كان بالإمكان أن يحدث شيءٌ، أو على الأقل تستمر المقاومة المسلحة لوكانت هناك مركزية وتخطيط دقيق، علماً كان بين القيادات الشعبية الداخلية ضباط ورتب عسكرية، لكن تأمين التنسيق كان في غاية الصعوبة مع انعدام الإمكانيات وتعذرها، ولو استمرت المقاومة فترة أطول ربما استطاعت قيادة المعارضة في الخارج التواصل والتنسيق معها، فالظرف كان أقوى من المعارضة، لذا حصل ما حصل وذهبت دماء بريئة غزيرة.

الدبلوماسية الفاشلة

س٢٧: طارق الكناني: هذه حقيقة كان صدام حسين طاغية بمعنى الكلمة وكان يعمد إلى تصفية خصومه من الساسة ببرود أعصاب ولم يسلم منه رفاقه فقد قام بتصفيتهم أمام مرأى ومسمع من العالم كله، وحتى صاحب قصر النهاية (ناظم كزار) لم يسلم من بطشه وأنا لا أختلف معك بهذه الجزئية. ولكن في ظل هكذا حكومة ونظام قمعي دكتاتوري شوفيني طائفي، ألم يكن من الأجدى تعبئة الشارع العراقي بأسلوب ثوري يمكن أن يحدث فرقاً بدلاً من الإنكفاء والهروب، لقد قام بعض المعارضين بمسيرة إحتجاجية في السبعينات ضد النظام وتمت مواجهتها بالدبابات وقمعت في خان الحماد. وبقيَّ الأكراد يقاومون النظام بالرغم من تجريده حملات عسكرية لقمعهم وحرق قراهم ومزارعهم ومحصولاتهم وتجريف أراضيهم ولكنهم بقوا كما هم: ألم يكن من الأجدى تكرار هذه العمليات ونقل هذه الأحداث للرأي العام العالمي بدلاً من الإنكفاء خلف العمائم الإيرانية التي لم تكن في يوم من الأيام موضع ثقة للشارع العراقي أو مصدر إطمئنان له؟

ج٢٧: ماجد الغرباوي: كان نشاط المعارضة واسعاً في هذا المجال، وكان قادة المعارضة يحضرون أغلب النشاطات الدبلوماسية، خاصة نشاطات الأمم المتحدة، رغم ضعف الإمكانيات ومحدودية الفرص. كانوا يتظاهرون في جميع

المناسبات. فضحوا جرائم البعث أمام الرأي العام العالمي، وأمام الشعوب الأوربية والأمريكية، حتى غيروا قناعة أمريكا، فكان نشاطهم الدبلوماسي أحد أسباب غزو العراق سنة ٢٠٠٣م.

أما عن الشق الثاني: صدام كان دولة، وكان مخططاً بوليسياً فريداً، والمعارضة مشتتة، بين شهيد وسجين ومشرد ومهاجر. ولم تبق سوى خلايا قليلة، كان يلقي القبض عليها بعد كل مواجهة. لا يقاس وضع المعارضة في وسط وجنوب العراق بالأكراد. شمال العراق أرض جبلية تمثل بيئة الأكراد، وهم الأقدر على شن هجمات ضد قوات النظام. فالأمر مختلف، والمقارنة معدومة. ثم أن أغلب المعارضة الكردية خرجت بعد استخدام النظام أسلحة محرّمة ضدهم. هل يوجد رئيس دولة يقصف شعبه بالأسلحة الكيمياوية، والنابالم؟؟ صدام قصف مدينة حلبجة الكردية بالقنابل المحرمة فأباد ٥٠٠٠ شخص في أبشع جريمة عرفها التاريخ. لكن رغم كل هذه الجرائم بحق شعب العراق تجد الشعوب العربية تصفق لصدام، بعد أن اشترى وسائل إعلامهم المأجورة، وأغدق عليهم من أموال الشعب وثرواته. إن محنة الشعب العراقي محنة تدمي القلب، لا أحد يتفهمها إلاّ من اكتوى بنارها. وكانت ضحالة الوعي وبالا على العراق وشعبه وما زالت تتسبب في كوارث سياسية وأمنية بل وحتى فكرية وثقافية ودينية.

س٢٨: طارق الكناني: كان الأكراد أكثر فاعلية في معارضتهم وهم مقاتلون أشداء وهم أيضا دبلوماسيون أكفاء تمكنوا من جعل العالم يتعاطف معهم بعد واقعة حلبجة وعمليات الأنفال وكان مجمل الضحايا في حلبجة (٥٠٠٠) شخص، ولكن نجد المعارضة العراقية التي كان يقودها الشيعة في الخارج لم تتمكن من اصدار قرار أممي لردع صدام والتمادي في تصفية الشعب في الجنوب والوسط، حيث جعلت أقليم كردستان تحت الحماية الدولية ولايسمح لطائرات النظام التحليق فوقها بينما أكتفت بتحديد مناطق الطيران حتى النجف وتركت لصدام حق ملاحقة الثوار وتصفيتهم.. ما الذي قدمته المعارضة بهذا الخصوص وقد خسرت ساحتها السياسية في ظرف أربعة عشر يوماً أكثر من نصف مليون عراقي، لكنها لم تتمكن من تدويل هذه الجريمة؟

ج٢٨: ماجد الغرياوي: المعارضة الكردية قديمة، بقدم قضيتهم، وقد دخلت أروقة السياسة العالمية مبكراً، فأقاموا علاقات سياسية جيدة، سهّلت مهمة الرعيل الجديد ليواصل جهوده الدبلوماسية والسياسية. فالتراكم الدبلوماسي ساهم في نشر مأساتهم، وعرض محنتهم، ثم جاء قصف حلبجة بالأسلحة المحرمة ليعزز مصداقيتهم ويمنحهم زخما أكبر في تحركاتهم السياسية والدبلوماسية، فراحت الدول تدعمهم علنا، بل وتتبنى قضيتهم وتدافع عنها. كان الأكراد يتحركون على حكومات ورؤساء العالم على صعيدين، تارة كجبهة مستقلة، خاصة تحركات

جلال الطلباني رئيس الاتحاد الوطني الكردستاني وعلاقاته الشخصية بالرؤساء والحكومات. وتارة يتحركون ضمن المعارضة العراقية، التي مرت بمخاضات سياسية متعددة، ضمن مشاريع مختلفة. وعلى كلا الجبهتين كانوا يحققون مكاسب تخدم قضيتهم. فالأكراد كانوا يجيدون اللعبة السياسية والدبلوماسية فكانوا مثلا يتحركون بشكل موحّد ولو ظاهراً، عكس المعارضة الشيعية التي ابتلت بصراعات داخلية مريرة، تجد أصدائها في وسائل الإعلام، وأحيانا لا تعلم لماذا؟ ربما فقط لأجل الصراع والمشاكسة؟. فمن النادر تتفق المعارضة الشيعية على صيغة موحّدة إلا بضغط خارجي، فخسروا فرص تواصل كثيرة مع حكومات العالم، بل لم يصمدوا ضمن مشروع واحد إطلاقا، فما إن يتفقوا على صيغة سياسية لتوحيد موقفهم إلا واختلفوا بعد حين!!. كما أن هاجس التلوث وشبهة العمالة تؤرقهم، خاصة حزب الدعوة الذي رفض بشدة الانفتاح على حكومات الدول الكبرى صاحبة القرار، ولم يحضر مؤتمر لندن رغم الترغيب والترهيب، عكس المجلس الأعلى جماعة الحكيم الذين يؤمنون بقرارات الغرف المغلقة، وهذا معروف عن السيد مهدي الحكيم قبل وفاته، لهذا كانت جماعة الحكيم تتمتع بعلاقات دولية جيدة خارج إيران، وتتفاوض مع الأطراف الأخرى بحرية كاملة. فالمجلس الأعلى أول من استجاب لمؤتمر المعارضة في لندن المدعوم أمريكيا. بينما اتصل ابراهيم الجعفري بالأمريكان بصفته الشخصية بعد

مؤتمر لندن، ثم التحق بمجلس الحكم بمفرده وبقرار شخصي أيضا، ولما أصبح هذا المجلس أمرا واقعا التحق به قادة الحزب.

نعود للسؤال: لا أريد إنكار جهود ونشاطات دبلوماسية للعراقيين المعارضين، ليس بالضرورة أن يكونوا منتمين للحركات الإسلامية. كانت جهود جيدة، حتى أصبحت قضية الشيعة الى جانب القضية الكردية، وانتشرت ارقام ووثائق كثيرة جدا عن معاناتهم واضطهادهم. فالحركة العراقية بشكل عام لم تتوان، وكان لها نشاط إعلامي واسع نسبة الى إمكانياتهم.

إليس أحمد الجلبي ورفاقه كانوا شعلة نشاط سياسي ودبلوماسي على الساحة السياسية حتى أقنعوا أمريكا بمشروعهم؟.. فكانت لهم لقاءات وتنسيقات مع بعض الدول. وحتى المعارضة الشيعية لها نشاطات دبلوماسية لكنها في أغلب الأحيان فردية بسبب حالة التشرذم التي ابتليت بها، وبسبب تبعياتها لإيران التي تفرض شروطها مع كل مشروع يُطرح حول مستقبل المعارضة العراقية. فحال المعارضة الشيعية في إيران حال المعارضة العراقية في سوريا التي تفرض شروطها هي الأخرى في كل مباحثات حول مستقبل العراق والمعارضة. فالمعارضة المتحررة كانت أكثر نشاطا وفاعلية. وبالتالي كانت هناك جهود ونشاطات سياسية وإعلامية لكن محنة العراقيين محنة واسعة، وعدوهم صدام يتمتع بقدرات دولة، وخبرة متراكمة لأكثر من ثلاثين عاما، فكان هو الأخر يتحرك على الحكومات، ويقدم وثائق وأدلة ومستمسكات للمحافل الدولية.

سوريا والرعب السياسي

س٢٩: طارق الكناني: لم يطّلع الشارع العراقي كثيرا على طبيعة المعارضة العراقية في سوريا ودورها وعلاقتها بالنظام السوري هل من الممكن أن توضح لنا هذه العلاقة؟

ج٢٩: ماجد الغرياوي: للتاريخ أتحدث قليلا عن علاقة المعارضة العراقية في سوريا. كانت تربط المعارضة بجميع اتجاهاتها علاقات متينة بالحكومة السورية، علاقات قائمة على الرهبة والخوف، ومن يتورط بعلاقة مع الأمن السوري يضع نفسه أمام خيارين، إما تنفيذ كل ما يُطلب منه أو التصفية السياسية وربما الجسدية، وبالتالي الموافقة الضمنية على شروطهم كشرط أساس لاستمرار العلاقة. من هنا راحت الشبهات تحوم حول من يرتبط بهم. يعني جميع المعارضة بلا استثناء!!!.

سوريا دولة ولها أجندتها في العراق والمنطقة وترى من حقها فرض شروطها إسوة بإيران والدول الأخرى، والمعارضة تؤيد هذا المنطق وتتعاون على أساسه، باعتبارها مشروع دولة وحكم مستقبلا وهي بحاجة الى عمق دولي كسوريا وإيران.

لقد احتضنت سوريا وشعبها العراقيين، فتحت لهم أبوابها، سهّلت معاملاتهم، منحتهم حقوق المواطنة، قدمت لهم حماية كافية، دعمتهم في الأوساط الدولية. وكانت علاقة المعارضة علنية بالأمن السوري من خلال قيادات مهمة، منهم: اللواء محمد ناصيف خير بيك (أبو وائل) مدير أمن دمشق والمقربّ جدا من

الرئيس حافظ الأسد، ومن ثم صار مديرا لمكتب بشار الأسد، وقد توفي العام الماضي. بل ما من شخصية عراقية إلا وتتقرّب له وتسعى للقائه، بما فيهم مسؤولو الحركات الإسلامية الشيعية.

جميع الحركات السياسية مرتبطة بدول المنطقة ودول العالم ذات الشأن السياسي الكبير، وكلهم يساومون على شروط تُطرح عادة على مائدة المفاوضات، وينفّذون أوامر وقرارات، بصورة مباشرة وغير مباشرة. ويتعهدون بضمان مصالح تلك الدولة التي يرتبطون بها. فهل تعتبر يا صديقي هذا النمط من العلاقات عمالة؟ إذاً فكل أعضاء حكومتك الحالية عملاء! إلا ما رحم ربك. ومن يعتقد بشرعية العلاقة مع سوريا، عليه أن يقدّم مبررات لعدم شرعية العلاقة بإيران. الدول واحدة، والمصالح سيدة الموقف دائما. ولا فرق بين دولة وأخرى.

س٣٠: طارق الكناني: بالتأكيد هناك اختلاف كثير باعتبار اننا لم نخض صراعا مسلحا مع سوريا كما حدث في الحرب العراقية الإيرانية ناهيك عن الإنتماء العربي الذي يجمعنا وعدم وجود اطماع سورية في ارض العراق كما هي الحال لدى ايران.

ج٣٠: ماجد الغرباوي: تبقى العلاقة مدانة، إذا اعتبرنا مطلق العلاقة مع دولة أجنبية إدانة، وحينئذ لا فرق بين دولة وأخرى. كما أن سوريا اصطفت مع إيران ضد العراق، وكان موقفهما واحد!!.

الفتوى الدينية

س٣١: طارق الكناني: ألم يكن بإمكان المعارضة في الجنوب أن تتخذ من الأهوار ملجأ لها بدلاً من أن تكون في إيران أو في دول الجوار، وكان بالإمكان إستصدار فتوى من أي مرجع لتحشيد الناس ضد النظام ولو أن هناك صعوبة في إصدار مثل هذه الفتوى من قبل المرجعيات النجفية ولكن هناك مرجعيات أخرى خارج العراق؟.

ج٣١: ماجد الغرباوي: كانت الأهوار إحدى قواعد المعارضة العراقية المسلحة، لكنها لا تستوعب جميع المعارضة. كانت مخابئ آمنة لهم، ولأسلحتهم. منها ينطلقون في عملياتهم الخاطفة، وإليها يعودون، ليتعبأوا ثانية. كان هناك مصدران لتجهيز المعارضة الأول الجيش العراقي ومخلفاته، وثانياً إيران. فالجهات الإيرانية كانت تمدهم ببعض الأسلحة والمعدات البسيطة، وتسهّل مرورهم، فكان التعاون يخضع لقيود أحيانا تكون قاسية. رغم ذلك كانت المعارضة بحاجة ماسة لهذا القدر من التعاون، ولا يمكنها التخلي عنه.

المعارضة العراقية المسلّحة كانت على قسمين في علاقتها مع إيران، بعض يعمل ضمن المكاتب الجهادية للحركات الإسلامية، وليس له علاقة مباشرة بالجهات الأمنية الإيرانية. والبعض الآخر مرتبط مباشرة بالتشكيلات الأمنية الإيرانية كالمخابرات والحرس الثوري وفيلق قدس، ومهمتهم الأساس غالبا رصد

تحركات المعارضة الإيرانية داخل العراق وملاحقة قياداتهم، وربما القيام ببعض التحركات المسلّحة ضدهم. فيعملون مجّندين ولا علاقة لهم بالمعارضة العراقية، وهؤلاء لا يرون أي شرعية لأي قيادة خارج شرعية الولي الفقيه في إيران، منهم فصيلة الثورة الإسلامية (جماعة أبو زينب، حاج كاظم)، وحزب الله.

أما عن الفتوى الدينية كما ذكرت فالمعارضة لا تحتاج لفتوى، وتعتبر العمل المسلح فضلا عن العمل السلمي ضد صدام وحزبه واجباً وطنياً ودينياً مقدساً، وقد بلغ عدد مسلحي فيلق بدر آلاف عدة. لكنها غير كافية في مواجهة دولة بجيشها الجرار ومعداته الفتاكة. أتكلم كشاهد وباحث، لا أقصد التبرير أو الدفاع، واحرص على نقل الصورة كما هي. وليس لدي أية أهداف آيديولوجية في هذا الحوار، لكن حقائق يجب أن تقال للتاريخ. أما عن موقفي فلدي رؤيتي وتحفظاتي على المعارضة ومواقفها وسلوكها وعلاقاتها وطريقة تعاملها مع الأفراد والحكومات. وأعتقد أنها أصبحت واضحة جليّة من خلال أجوبتي المختلفة في هذا الحوار.

س٣٢: طارق الكناني: أقدر لك هذه الصراحة الكبيرة وأعتقد أنك قصدت أسلوب تنفيذ عمليات المعارضة التي كانت تستهدف الجندي البسيط وتترك مراكز السيطرة والإدارة.

ج٣٢: ماجد الغرباوي: أقصد هذا وغيره. أقصد التخطيط والبعد الاستراتيجي. يوما سألت أحد قيادي الدعوة عن طريقة اتخاذ القرار داخل الحزب، خاصة القرارات الاستراتيجية، وهل

لـديهم مركـز دراسـات أو مستشـارون ومتخصصـون بالشـأن السياسـي؟ فنفـى، وقـال: لا شـي مـن هـذا أبـداً، تجتمـع القيـادة للتـداول، ثـم تتخـذ القـرار المناسـب حسـب رؤيتهـا وتقـديرها!!!. وبالتالي فالقرارات ارتجالية لدى الجميع، بل مهمة مجلس القيادة الإصغاء إذا كان على رأسهم رجل دين كما بالنسبة لجماعة الحكيم. كانوا لا يناقشون السيد محمد باقر الحكيم إلا إذا طلب منهم ذلك. ويكتفون بالإصغاء وتلقي النصائح والقرارات لتنفيذها، فالقيادة هرمية من الأعلى الى القاعدة مرورا بالقيادات الفرعية، عكس حزب الدعوة، فقيادته جماعية.

كما أن قرارات الجميع تراعي السياسة الإيرانية ولا يمكنها إتخاذ قرارات مستقلة إذا كانت تتقاطع مع الرؤية الإيرانية.

س٣٣: طارق الكناني: لا يمكن أن يكون لمعارضة تفتقد الرؤيا أية جدوى فهي والعدم سواء، فهل تتفق معي؟.

ج٣٣: ماجد الغرباوي: للأسف كانت قرارات المعارضة ردود أفعال، فهي مقموعة تحت إرادة الدولة المضيفة، كما أنها أثبتت فشلها بسب عدم وجود رؤية واستراتيجية وبعد نظر، وإمكانيات كافية، وعشوائية القرارات. لكن كي لا نظلم الجميع أن الوضع الإقليمي والظروف الداخلية للمعارضة وأتباعها الذين كانوا يعانون كثيرا، كلها كانت عوامل احباط تعرقل عمل الجميع، وتربك مواقفهم.

الشعور الوطني

س٣٤: طارق الكناني: كنّا كلما تحدثنا إلى أحد الشيوعيين سرعان ما يكرر اسم الإتحاد السوفياتي في الجملة الواحدة عشر مرات. وكذلك اذا تحدثنا إلى شخص من حزب الدعوة لم نجد عنده غير أمور تخص المذهب والمقدسات ولم يكن العراق حاضراً في فكرهم الجمعي، ألم تساهم المعارضة العراقية سواء من الحزب الشيوعي العراقي أو حزب الدعوة على حدٍ سواء بتعرية نفسها أمام الشعب العراقي بعد إعلان ولائها للدول الأخرى؟.

ج٣٤: ماجد الغرباوي: مرَّ الحديث عن ضعف الشعور الوطني، وعدم الولاء للدولة العراقية، وذكرت بعض الأسباب، وهذه مشكلة أساسية يجب معالجتها من خلال الثقافة والمدرسة والعائلة ووسائل الإعلام. ينبغي تعميق الولاء للدولة والقانون ومن ثم تعميق الشعور الوطني، كي تختفي مظاهر الفساد، ويعود العراق دولة عصرية. وكما تفضلت، من يفعل ذلك بمرآى ومسمع من الناس يفضح نفسه بنفسه. والشخص الواعي يدرك ويشخّص، خاصة مع تعدد وسائل الإعلام وانتشارها وسهولة الوصول لها.

أود الإشارة لقضية مهمة حول علاقة حزب الدعوة بإيران أيام المعارضة. كان موقف الحكومة الإيرانية سلبياً جداً من حزب الدعوة، خاصة المؤسسات ذات العلاقة بالمعارضة العراقية. فكانت الدعوة متهمة في ولائها للولي الفقيه، وكان الناطق الرسمي ورمزها الأول (الشيخ محمد مهدي الآصفي) يدعو لتقليد المرجع

الديني المعروف السيد أبو القاسم الخوئي باعتباره الأعلم وفقاً للمذهب الشيعي في التقليد. وكان الإيرانيون لا يخفون انزعاجهم منه ومن موقفه مهما كانت شرعيته وموضوعيته. إذ كان الإمام الخميني خطا أحمرا، قائدا ومرجعا، فكيف يحيد الآصفي عن خطه ويدعو الى تقليد مرجع آخر علنا؟!!، من هنا كانوا يشككون بولاء الدعاة إلا من تبرأ من حزب الدعوة عملاً من خلال سلوكه ومواقفه. الإيرانيون لا يقبلون أقل من الذوبان المطلق، كما بالنسبة للعاملين مع الجهات الأمنية الإيرانية، والذين خرجوا من حزب الدعوة. فهولاء كانوا يبالغون في عدائهم للدعاة والتشكيك في مصداقيتهم، لتأكيد ولائهم وذوبانهم في الإيرانيين وخط ولاية الفقيه. كنا نعيش توترا مستمرا بسب تقاطع الولاءات والتشكيك بصدقية الدعاة. من الصعب جدا أن ينظر لك الآخرون بريبة وشك، خاصة إذا كانوا عراقيين. كنا نعاني من حالة النفاق للإيرانيين من قبل بعض الإسلاميين العراقيين، فبعضهم يتطوع بإيصال كل شيء عنك للمخابرات، وعندما تراجع لإنجاز معاملتك تجد ملفا كبيرا عنك، يحصي أنفاسك. ذكريات مؤلمة يا صديقي. حالة التمزق التي تعيشه الآن في العراق هي ذاتها كانت خلال عشرين عاما في بلدان المهجر، إيران وسوريا وأوربا، خاصة بريطانيا.

من هذا المنطلق عملت إيران على تمزيق حزب الدعوة بأساليب شتى، وكان الدعاة يعانون معاناة حقيقية، خاصة في شؤون

الإقامة، والسفر. بينما تنعم فصائل المعارضة الأخرى بالإمكانيات المتاحة لهم. كان الإيرانيون وراء إنشقاق حركة الدعوة برئاسة الشهيد عبد الزهرة عثمان (عزالدين سليم – "أبو ياسين"). بذريعة عدم ذوبان حزب الدعوة كلياً في إيران صاحبة الشرعية، مما يخالف وصية السيد محمد باقر الصدر الذي أوصاهم: (ذوبوا في الإمام الخميني كما ذاب هو في الإسلام). كما أسسوا المجلس الأعلى، ودعموه دعماً بلا حدود، حتى جرّدوا حزب الدعوة من معسكره، ونشاطه المسلح، وفرضوا عليه التبعية للمجلس الأعلى لكنه رفض، وبقي صامداً. وأخيراً قبل سقوط النظام كان الإيرانيون وراء إنشاق حزب الدعوة تنظيم العراق، وتنظيم الداخل. ذكرت هذا ليس دفاعا عن حزب الدعوة، لكن أحداث عشتها بتفاصيلها. كان نصيبهم الإقصاء، وظلّت تحوم حولهم شبهة عدم الولاء. خاصة عندما تصدى السيد محمد حسين فضل الله للمرجعية، ومنافسته الشديدة لمرجعية السيد علي خامنئي، خارج إيران ولبنان، حيث تأكد لدى الإيرانيين عدم ولاء هذا الخط لولاية الفقيه، لأن ولاء الدعاة لفضل لله كان قديما وما يزال، لانهم يرتبطون به تنظيميا وفكريا. أما ما بعد السقوط وفوز المالكي بنسبة عالية في الانتخابات اضطروا للتعامل مع حزب الدعوة كأمر واقع، وتبنوا المالكي رسمياً لضمان مصالحهم. فالسياسة لا تعرف مبادئ مطلقا. كان الانتماء لحزب الدعوة شبهة، يمكنك تسقيط أي شخص بها، وكانت وراء عرقلة

معاملات الدعاة بالإقامة وغيرها. كان الذائبون بإيران وولاية الفقيه كجماعة المجلس الأعلى وبدر وحزب الله وآخرين ينظرون شزراً للدعاة، ويرمونهم بالانحراف، وعدم الولاء!!!.

صدقني العراق لم يغادر وجدان العراقيين في المهجر لحظة واحدة، كنا نعيشه بكل تفاصيله يوماً بيوم، وبقينا ننتظر سقوط النظام عشرين سنة، انتظار سلبي أثّر على مستقبلنا كثيراً. كنا لا نتقبل فكرة البقاء بلا وطن، أو نبقى خارج العراق طويلا، الجميع كان مستعداً للعودة في كل لحظة، فهبوا جميعا سنة ١٩٩١م، بانتظار العودة. فولاء العراقيين لبلدهم بلا ريب ما لم يحصل تزاحم بين الولاءات فيقدّمون القومية والمذهب والسلطة عليه للأسف الشديد، وأنت تشاهد المفاوضات السياسية وما يسمى بالاستحقاقات والمحاصصة التي تمت على هذا الأساس. ثم المسألة لا تنحصر بالمعارضة، ماذا تسمى عمليات النهب المنظمة بعد سقوط النظام؟ هل كانت المعارضة تنهب أم الشعب ياسيدي الكريم؟ قضية محيرة، كيف يسرق الشعب مؤسسات دولته وبلده؟؟. كان العالم يشاهد عمليات النهب مذهولاً، فالشعوب عادة تحافظ على ممتلكات الدولة. لكن هؤلاء لا يدركون الفارق الجوهري بين الدولة ككيان مستقل وبين رموز الحكومة. الشعب العراقي يعيش غريباً عن دولته، يجدها دائماً بالضد من مصالحه، فليس لديه ولاء حقيقي للدولة، بل ويتربّص بها، ليقتص منها.

س٣٥: طارق الكناني: لقد ذكرت رجلاً كنّا نكُنّ له الإحترام رحم الله المجاهد عز الدين سليم حين اغتاله رفاقه بعد أن سأموا من عراقيته وحرصه على تنفيذ مبادئه فكانت عملية الاغتيال مفضوحة. ولم نعرف لحد الآن المرجع الديني لحزب الدعوة بعد وفاة فضل الله.

ثم: إن ماذكرته كان صحيحاً حيث أنقضَّ الشعب على ممتلكات الدولة وكان النهب لايخرج عن إطار الكرسي والتلفزيون وبعض الأثاث، أما النهب المنظم فهو من قام به القادمون ولا يمكنني التحديد بالضبط حيث تعددت الجهات التي تتربص بالعراق فكان حرق المكتبة الوطنية، ونهب الآثار الموجودة في المتحف العراقي وتهريبها ونهب الملفات التي تخص الأرشيف العراقي لليهود العراقيين من البنك المركزي وكل الأرشيف العراقي وهذا ماقام به الجلبي وأعوانه وأعتقد أنه من المعارضة، دعنا لانطيل بهذا السرد فهناك الكثير مما سنقوله لاحقاً.

وكما قلت كان الشعب العراقي يعيش غريباً في وطنه فالشارع باسم القائد الضرورة وكذلك المستشفى والمدرسة والقاعات الرياضية والمطارات وكل مرافق الحياة فهي مسجلة باسم شخص واحد وكان من الصعب جداً إقناع العوام بأن صدام قد رحل إلى غير رجعة وعليهم الحفاظ على هذه البنى، ولكن الغريب كنّا نشاهد هذا السلب والنهب يتم تحت مرأى ومسمع القوات الأمريكية!!!

ج٣٥: ماجد الغرباوي: لا فرق بين عراقي وآخر. كل من تجاوز مدان، سواء من نهب دوائر الدولة بعد السقوط، أو من استغل منصبه وسرق ثروات بلده واستباح أمنه. لا فرق في ذلك. ثم القوات الأمريكية دخلت بلا أي تخطيط، لا تدري ماذا تفعل. فلم تردع معتدياً، ولم تجر مستغيثاً، سوى حماية جنودها ومصالحها، إذا لم تكن شريكة أو محرّضة على أعمال العنف ونشر الفساد.

براءة الدماء

س٣٦: طارق الكناني: المعارضة تدّعي أنها قدّمت قوافل من الشهداء، ولانجد غير أشخاص معدودين تم إعدامهم ولاذ البقية بالفرار وتركوا قواعدهم ومؤيديهم من الشعب يواجهون مصيرهم دون إرشاد أو توجيه... ألا تتحمل هذه الأحزاب وخصوصاً حزب الدعوة هذه الدماء وبما فيها دماء الشهيد الصدر وعارف البصري والمبرقع وغيرهم من قيادات الرعيل الأول، بسبب هروبهم إلى خارج العراق واللجوء إلى دول أجنبية ولا أريد أن أقول معادية؟

ج٣٦: ماجد الغرباوي: عدد ضحايا الإسلاميين كبير جداً، قياساً إلى عددهم ونوعيتهم، فأغلب الشهداء على مستوى رفيع من التحصيل العلمي، ونخبة الشباب العراقي. والقضية نسبية، عندما يصف الدعاة الشهداء بالقوافل. فالمعارضة في العراق ليست ظاهرة علنية، بل كانت في منتهى السرية باستثناء جملة نشاطات دينية وأخرى إجتماعية في مناسبات محدودة.

اغتيال الشخصيات التي ذكرت بالسؤال كانت أحد الأسباب وراء هروب المعارضة للخارج، فمقتلهم كان انذاراً فهمت المعارضة رسالته: "النظام لا يتهّيب والشعب لن يغيث".

استشهد الشيخ عارف البصري الذي ذكرته بمثالك، مع رفاقه سنة ١٩٧٥م، في وقت ما زالت المعارضة في الداخل، ولم يخرج أحد منهم إلاّ مَن كان مطلوباً للسلطة فعلاً، لا ملجأ له ولا مفر سوى الهروب خارج الوطن.

المعارضة لم تخرج قبل استشهاد السيد محمد باقر الصدر، بل شنّت حملات متعددة ضد قوى الأمن وطالت الاغتيالات عددا منهم. وتظاهروا داخل المدن، كمدينة الكاظمية والنجف ومدن أخرى. كما واصلوا توزيع المناشير واللافتات التي تفضح ممارسات النظام علنا، وتحرّض الشعب ضده. كما اقتنوا أسلحة ومعدات للدفاع عن أنفسهم، فانتشرت مواجهات دامية، واستهدفت أعداداً كبيرة، لكن للأسف أُحبطت جميع محاولات المعارضة لردع السلطة الحاكمة، فقوى الأمن هي الأقوى عادة، خاصة مع مؤازرة الشعب.

أنا أتكلم كشاهد على تلك المرحلة، سُجنت عام ١٩٧٥م، وكنت آنذاك شاباً صغيراً، وتربطني علاقات وطيدة مع عدد كبير من الشهداء والسجناء، وعشت معارضاً خارج بلدي، أكثر من عشرين عاماً حتى سقوط النظام ٢٠٠٣م، وما زلت خارج البلد. وكثير من رجال السلطة اليوم رفاق درب كنّا معاً في محنة المعارضة داخل البلد وخارجه. فمهمتي الآن توثيقية ضمن هذا الحوار. فأرجو أن لا يفهم من كلامي براءة الأحزاب والحركات الإسلامية. الأحزاب الإسلامية المعارضة للأسف لم تحسب حساباتها بدقة، وفرّطت بدماء طاهرة وزكيّة بسبب ضعف التخطيط وجهل مرير بالأوضاع، وخطأ في تقييم الأمور والقدرات الحقيقية، والانسياق وراء عواطف وهتافات غير منضبطة عقلا، وربما غير منضبطة شرعا حينما تصل حد التهلكة المحرّمة بسبب

تهوّر الشباب، واندفاعهم الثوري. فمثلاً ما كان ينبغي للعراقيين في الداخل التأثر بالثورة الإيرانية، رغم أنها ألهبت مشاعر جميع الإسلاميين في جميع العالم، وكانت السبب وراء حمل المعارضة الإسلامية السلاح في عدد من الدول، كمصر وتونس وسوريا، من أجل استنساخ التجربة الإيرانية وإقامة دول إسلامية. وما كان ينبغي لبعض المعارضة العراقية التهور في وقوفها مع إيران، حيث راح بعض المحسوبين على التيار الإسلامي (منظمة العمل والشيرازيين) يستغل الاذاعة العربية التي كانت تبث من طهران للتحريض ضد النظام العراقي وصدام حسين علناً جهاراً وذلك في بداية الثورة، قبل نشوب الحرب بين الدولتين. فكانوا السبب وراء اعتقال السيد محمد باقر الصدر وتصفيته جسديا. حيث أجروا معه مقابلة هاتفية رعناء لا مبرر لها أُذيعت على الهواء مباشرة، ولم تُجدِ نفعاً سوى اعتقاله وقتله!!! كان ينبغي للتيّار الإسلامي أن يعي تصرفاته، كيف يمكنه مقاتلة قوى أمن بإمكانيات دولة، وأية دولة؟ صدام الذي بدد ثرواته على الجيش والأمن، بسبب الرعب والخوف الذي يلاحقه.

يا سيدي بطش النظام ليس رد فعل لهروب المعارضة. بل هو نظام جائر عنيف، نظام بوليسي لا يفهم منطق المعارضة السلمي، ويضع في خانة المعارضة كل من لم يكن معه، من هنا راحت الناس تنتسب لحزب البعث كرهاً وخوفاً، كي تتخلص من بطشه. هو نفس الطاغية السفاح قبل قتل هذه الرموز الكبيرة وبعدها. ثم

هنـاك نقطـة مهمـة ربمـا لا يعـرف بهـا أحـد إلا القليـل. المعارضـة الإسـلامية كانـت مفككـة، وكانـت تعمـل علـى شـكل دوائـر منفصلة، ليس هنـاك قيـادة مركزيـة ولا تنظيم مركـزي يمكـن بواسـطته السـيطرة علـى تصـرفات الـدعاة وتوجيـه وعـيهم، صـار الانفـلات بسـبب الاعتقـالات العشـوائية وكثـرة الشـهداء، وعنـف السـلطة. وبعبـارة أخـرى لم تعـد المعارضـة رقمـاً مـؤثراً لا بالنسـبة للنظام ولا بالنسبة لنفس المعارضة وخطوطها التنظيمية، فمن الظلم إلقـاء كامـل المسـؤولية عليهـا. كـانوا مُبعثـرين بعـد الحمـلات البوليسـية. ورغـم إبـادتهم وتشـريدهم واصـلت السـلطة الإعتقـالات والقتـل بحـق كـل مـن يمـت لهـم بصـلة. إنهـا ذكريـات داميـة يـا صديقي، وجُرح عميق. يجب أن لا تنسى هذه الذكريات وتقام لها متاحف خاصة، كـي لايخطـأ الشـعب ثانيـة ويصنع جـلادا جديـدا يقدّسه وهو يضطهد كرامته.

س٣٧: طارق الكناني: نعم إنه جرح عميق فقدنا فيه الكثير من أحبتنا لمجرد التهمة وتم تغييب الكثير من ابنائنا في دهاليز الأمن العامة لأنهم من هذه المحافظة أو تلك وحرمنا من الكثير من الإمتيازات التي كان يتمتع بها بقية العراقيين لأننا من كربلاء مثلاً. رحم الله الشهداء من ابنائنا وإخواننا الذين اعتقلتهم السلطة ونفذت بهم أحكام الإعدام لا لشيء إلاّ أنهم دخلوا المسجد للصلاة ويصدف أن تحدثوا مع شخص حول الوضع البائس، كان هذا المشهد يتكرر كل يوم. وكانت القبور بلا أسماء ولايسمح بإقامة مجلس الفاتحة على أرواحهم وكان الأهل يدفعون ثمن الإطلاقات، ويجبرون الأهل على اعلان البراءة من الشهيد. لكنك دائماً تكرر في حديثك أن الشعب تخلى عن المعارضة. وإن الناس يبلغون عن أقاربهم في المعارضة وهذا لم يحدث في أي مكان سوى العراق، دعني أسوق لك مثلاً كما ورد عن بعض الأصدقاء الذين عاشوا محنة المعارضة والنفي. في إيران ومباشرة بعد إنتهاء الحرب العراقية الإيرانية حدثت صحوة لدى الشعب الإيراني الذي فقد أكثر من مليون ونصف شخص بسبب هذه الحرب دون أي نتائج أو دون تحقيق أي هدف من الأهداف التي كان يجلد أسماعهم النظام صباح مساء بتحقيقها، فقد حدثت حركة مناهضة للنظام والتف الشعب حول حزب تودة مما جعل الثورة وشيكة ضد هؤلاء الملالي ولكن إطلاعات الإيرانية قامت بتفجير في ضريح الإمام الرضا

ساعة الذروة وبمناسبة زيارة الأربعين، وأخرجت في اليوم التالي مجموعة من حزب تودة يعترفون بقيامهم بهذه العملية مما أثار الشارع الإيراني ضدهم وجعل الأهل يبلّغون عن أي فرد بالعائلة ينتمي لهذا الحزب وخلال أسبوع تمت تصفيتهم وذهب الخطر. العراقيون تعرضوا إلى تضليل كبير من قبل النظام ويؤيد إدعاء النظام التصريحات التي تأتي عن طريق الإذاعة الإيرانية وعن لسان الخميني مما أثار حفيظة الشارع العراقي. وبالتالي فإن الشارع العراقي لم يتخل عن المعارضين بقدر ماكان يستنكر بعض تصرفاتهم ويعتبرها خارج حدود الوطنية. فكيف تخلى الشعب عن المعارضة، هل من شواهد تاريخية؟

ج٣٧: ماجد الغرباوي: قضية حزب تودة كانت في بداية الحرب العراقية الإيرانية وليس بعدها، وتم تصفيتهم بتهمة التجسس للإتحاد السوفيتي، وحملهم السلاح، هكذا سمعنا من وسائل الإعلام الإيرانية في حينها. وتفجير ضريح الإمام الرضا صحيح، لكن تم السيطرة على الموقف مباشرة في ظل قوى أمن قوية جدا، مدعومة بمؤازة الشعب، فالشعب الإيراني يتعاون مع قوى الأمن بشكل كبير. أما عن استغلال هذه الحادثة لتصفية حزب تودة كما ذكرت، فليس لدي أية معلومة عنه. لكن من الطبيعي أن تتذرع سلطات الأمن بالحادث لشن حملة اعتقالات، ومطاردة المعارضين للنظام.

ما زلت أتذكر أكبر تظاهرة لحزب "مجاهدي خلق" واليسار

بشكل عام في شارع إنقلاب وسط طهران، بدعوة من رئيس الجمهورية آنذاك د. أبو الحسن بني صدر. وشاهدت أول طعنة سكين بظهر شخص موال للثورة أقحم نفسه داخل التظاهرات وأطلق هتافات مضادة. ورغم اتساع الحدث وحجم الخسائر، إلا أن الحرس الثوري بمؤازة الشعب و"البسيج" سيطر على الموقف واتخذ تدابير صارمة، حيث زحفت أعداد كبيرة من جنوب طهران، معقل حزب الله وأنصار الثورة، وطوقوا المتظاهرين عبر مواجهات سقط فيها قتلى وجرحى. وخلال فترة قصيرة نسبيا تكاد تكون إيران خالية من أي معارضة يسارية، بعد إقصاء رئيس الجمهورية أبو الحسن بني صدر الذي كان يحرّض ضد رجال الدين، وفرار أعضاء المنظمات اليسارية خارج البلد.

ما أريد قوله أن تفجير الضريح كان متأخرا في وقت خلت فيه إيران من المعارضة المسلحة، خاصة حزب تودة.

نعود للسؤال: لا شك أن سياسة البعث قامت على:

-كثرة الإغراءات المادية حدا قلب ارتفاع رواتب الموظفين العدو صديقاً، وراح الناس يتعاطفون مع الحكومة ويدافعون عنها. وانشغل الفرد العراقي بأمواله وثرواته، بشكل صار لا يهمه سوى الحفاظ على مصالحه التي ارتبطت بالدولة وأمنها واستقرارها، فأصبح ضدا لكل من يقوض الوضع مهما كانت مبرراته.

-التركيز على الإعلام الداخلي والخارجي، من خلال شراء وسائل إعلام عربية وعالمية راحت تزوّر الحقائق لصالح النظام،

وتنشر عن العراق وضعا مثاليا، فصنعت من صدام رمزاً تأريخياً لا يدانى. بينما لم تسرّب أي معلومة عن وحشيته وبطشه رغم علمها بذلك لأنها وسائل إعلام مأجورة. بل راحت تصف معارضيه بالخونة والجبناء والقتلة، حتى أثّرت على الشارع العربي، وما زال العرب واقعين تحت تأثيرها، يرفضون الحقيقة، ويدافعون عن صدام ونظامه باستماتة غريبة. فأي إعلام هذا الذي رسّخ صورة مشرقة لطاغية سفاح، فعل بشعبه ما لم يفعله أحد قبله؟.

ثم من سوء حظ المعارضة والشعب أن العراق خاض حرباً ضد إيران التي يكرهها العرب، ويعتبرها عدواً لدوداً، بسبب قوتها أيام الشاه وسطوته ضد حكومات المنطقة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، تعتبر إيران عدوا تقليديا بسب انتمائها المذهبي، وأنت تعلم تداعيات الصراع المذهبي ومدى تأثيره السلبي.

-التعتيم الإعلامي داخل العراق، فكأنك في سجن تتلقى صورة نمطية واحدة من الإعلام العراقي كافة. لا تسمع ولا تشاهد سوى بطولات صدام حسين والشعب يصفق ويهتف بحياته. بينما لم يتسرّب عما يجري داخل السجون والمعتقلات إلا النزر اليسير وبشكل خاص جدا وشخصي. ثم أن وسائل الإتصال الحديثة كانت ممنوعة في العراق فالشعب كان محروما منها، بل في سجن مظلم، وكان النظام بالمرصاد لمن يقتنيها أو يتابعها ولو بصورة غير مباشرة.

-القمع والترهيب للمعارضين وغيرهم.

-تحوّل حزب البعث إلى تنظيم أمني لا سياسي، مهمته مراقبة الشعب، جمع التقارير، بث الدعايات، ترهيب الناس، وقمع الأصوات المعارضة.

أما عن الشواهد التاريخية لتخلي الشعب العراقي عن المعارضة فكثيرة. ذكرت بعضها سابقا، وأشير لبعضها الآخر هنا سريعا:

كان السيد محسن الحكيم مرجعاً دينياً كبيراً، ورمزاً تدين له عشائر العراق في الجنوب والوسط، وهي رهن إشارته، لكنهم تخلّوا عنه بعد اتهام ولده السيد مهدي الحكيم زورا ورميه بالعمالة من قبل النظام. فكانت المرجعية الدينية تتوقع احتجاجات جارفة، لكن الذي حصل كان صمتا مطبقا، وراح كل شخص يحذّر الآخر، وينهاه عن التورط. ثم في سنة ١٩٧٤م قام النظام البائد بتهجير أو تسفير ما يسمى بالتبعية الإيرانية، بما فيهم طلاّب علوم دينية وعلماء كبار. ولم يحتج أحد، وبقي مرجع التقليد آنذاك السيد أبو القاسم الخوئي مخذولاً بلا نصير. (لا أتكلم عن شرعية التهجير أو عدم شرعيتها، رغم أنها عمل غير إنساني). وأيضاً لم يتحرك الشعب العراقي بعد اعتقال السيد محمد باقر الصدر، الرمز العلمي والمرجعي الكبير، وقد خرجت أخته تستصرخ الناس في شوارع النجف، وسمعت أن بعضهم أهانها!!. وهكذا في أحداث رجب ١٩٧٧، وفي تظاهرات الكاظمية ١٩٧٩م، وأحداث كربلاء. والاعتقالات الجماعية، والإعدامات بلا رحمة، وعملية التهجير التي طالت عدة ملايين سنة ١٩٨٠م. هل من أحد خرج دفاعاً عن

هؤلاء الناس يا سيدي الكريم، أم راحت الناس تتعقبهم في كل زاوية وتخبر عنهم؟؟. هذه مجرد إشارات وهي حقائق يعرفها الجميع، وشاهدت بعضها بعيني.

س٣٨: طارق الكناني: نعم لقد تطاولت السلطة كثيراً فقد بدأت أولاً بالشيوخ الذين كانت لهم سطوة عند عشائرهم وكانوا من مرتكزات المرجعية وينفذون أوامرها بكل دقة فأعدمت شيوخ الفرات الأوسط من آل فرعون وآل حسون وغيرهم بتهم شتى أهونها التجسس وجاءت بسقط المتاع من هذه العشائر وسلمته الجمعيات الفلاحية، بعد أن رأت ردود الأفعال غير فاعلة وخجولة عند إتهامها للسيد مهدي الحكيم ومن ثم إعتقالها للسيد (الصدر) ومن ثم وضعه تحت الإقامة الجبرية فلم يكن أحد من المراجع يزوره سوى السيد عبد الأعلى السبزواري على ما أتذكر، بل تطاول صدام أكثر حين بدأ في التسعينات بتصفية المراجع فقد اغتالت زمره الأمنية آية الله الشيخ مرتضى البروجردي وآية الله الشيخ على الغروي، فكانت تظاهرات عارمة في كربلاء وردود فعل قوية تم قمعها بالسلاح وكنت شاهداً عليها وكان ختامها عملية إغتيال السيد محمد محمد صادق الصدر والذي كانت المعارضة في إيران تحرّض على قتله فقد سمعت صدر الدين القبانجي ينعته بشتى الأوصاف....

الساحة العراقية لم تخل من الحراك السياسي ولو كان عشوائياً فالناس لم تعد ترغب بالانتماء إلى أي حزب لأسباب

كثيرة منها عدم ثقتها بهذه الأحزاب.

وسؤالي: هل ممكن أن توضح ماذا تقصد بعمليات التهجير في الثمانينات والتي بلغت الملايين حسب قولكم ،هل قصدت التسفيرات للتبعية الإيرانية أم تقصد من السياسيين الذين ينتمون للأحزاب المعارضة؟

ج٣٨: ماجد الغرباوي: نعم بالضبط أقصد التسفيرات، فمصطلح التسفيرات يوحي بأنهم أجانب وتم ترحيلهم، وأنا أفضل مصطلح التهجير، باعتبارهم أبناء بلد، ولدوا وعاشوا وترعرعوا في أحضانه. تشبعوا بثقافته وعاداته، دافعوا عنه أسوة بغيرهم من العراقيين فكانوا يساقون للخدمة العسكرية كأي فرد من أبناء الشعب، يدخلون الجامعات، تسند لهم وظائف الدولة، لكن نظام البعث بدوافع طائفية، قام بطردهم خارج الحدود بعد أن سرق أموالهم وهتك كرامتهم، فصاروا بحالة يرثى لها. وكانت أول مجموعة كبار تجار العراق من الشيعة فقط وفقط، عندما جمعهم في غرفة تجارة بغداد، وكانت السيارات المسلّحة حاضرة لتستبعدهم خارج بلدهم. يا أخي عشنا سنتين في إستراليا وهي نظام غربي، منحونا كل مستلزمات المواطنة، ابتداءً من الجنسية. سنتان ليس أكثر كيف بإنسان عاش هو وعائلته وأباؤه وأجداده في العراق؟ ثم كيف ننسى أن بعضهم اضطر للتجنس بالجنسية الإيرانية للهروب من الخدمة العسكرية العثمانية، فلماذا يشمل بهذا القرار الجائر؟

إنها مجزرة بشرية يا صديقي تجد العوائل بالعراء بلا مأوى ولا ماء ولا كلاء، لم يفعلها قبل صدام أي مجرم بالعالم.

شكراً لما سردته من سيرة سيئة لزمرة البعث باعتبارك شاهدا عليها، وقد أدليت بشهادتك للتاريخ.

المحور الرابع

الانهيار وتداعيات الفساد

الانهيار الداخلي

س٣٩: طارق الكناني: نعود لكلامك السابق، حول الوضع الداخلي واستشراء الفساد المالي والإداري، وأسأل: إذا ما الذي حدث، ولماذا هذا الانهيار الفظيع؟ فما نشاهده اليوم لا يصدّق، ويفترض أن أغلب السياسيين ينتمون للتيار الإسلامي، شيعي وسنّي؟.

ج٣٩: ماجد الغرباوي: هناك عدة أسباب وراء انهيار الأوضاع في البلد، أهمها الأحزاب المشاركة في السلطة التي قدّمت مصالحها الشخصية والطائفية والقومية على مصلحة العراق، فهي دولة مكونات وليست دولة مواطنة. فتعاملت مع السلطة بمنطق الغنيمة، وبدأت بنفس هذا المنطق المساومات والتواطؤ وغض النظر على الجرائم والسرقات والتجاوزات، وصعود الوزراء والمسؤولين الفاسدين، لأنهم الأقدر على تلبية متطلبات أحزابهم.

وقد دفع منطق الغنيمة الأحزاب السياسية المشاركة بالسلطة إلى تعطيل قانون الأحزاب السياسية واستبداله باتفاقيات ضمنية غير مدونة، وضعت ميزانية الوزارات تحت تصرف الأحزاب لتغطية ميزانياتها، فبات الوزير مسؤولاً عن تأمين ميزانية حزبه من ميزانية الوزارة والعقود والإتفاقيات التجارية، الداخلية والخارجية. وكخطوة لإسكات الوزير سمحت الأحزاب لوزرائها من أجل تأمين ميزانية الحزب أن يتقاضى عمولة إضافية، فبات الوزير

يفضّل الأعلى عمولة على الكفاءة والمواصفات القانونية. وبهذا شاع الفساد، وهبطت مواصفات العقود على حساب مصلحة الوطن والشعب، فأي بشاعة يا ترى!!!؟ الأحزاب العراقية قل مثيلها في التاريخ خسة وخيانة. حتى الرتب والمناصب العسكرية تباع بالمزاد علناً.. أي جريمة أكبر منها؟ وعندما تباع الرتب والمواقع العسكرية أصبح واضحاً كيف يتسرّب الإرهاب وينفذ أخطر العمليات العسكرية، والضحايا دائما هم الشعب والبنية التحتية للبلد.

س٤٠: طارق الكناني: لم نشهد مثيلا لهذا الفساد من قبل، ترى هل هناك أسباب اخرى ساهمت في تفشي هذا الفساد؟

ج٤٠: ماجد الغرباوي: من الأسباب الأخرى التي ساهمت في تفشي الفساد:

-التشريعات القانونية التي شُرّعت غباء أو لمصلحة شخصية فكرّست الفساد المالي، مثل: قانون المقاولات والعقود الذي يسمح للمعترض بكسر العقد، فيضطر المقاول دفع عشرين بالمئة رشاوى من أجل الاحتفاظ بالعقد على حساب الكفاءة والمواصفات القانونية.

ومن القوانين التي شرعنت الفساد والإثراء اللا مشروع، منح ٣٠٠ -٥٠٠ بالمئة من الراتب لموظفي المنطقة الخضراء كمخصصات بدل خطورة!!، إضافة الى بدل إيجار، وأثاث تتراوح بين ٣٠٠٠ -٥٠٠٠ دولار سنويا، ونفقات سفر وإيفادات رسمية، مع وجبات طعام يومي. فأثرت طبقة واسعة من الموظفين على حساب

باقي موظفي الدولة. وما فعله مجلس النواب أدهى، حيث أهدر ميزانيته على رواتب الأعضاء وحماياتهم، إضافة الى نفقات السفر والإيفادات الداخلية والخارجية.

-ميزانية النثرية للرئاسات الثلاثة، حيث خوّل مجلس النواب في السنوات الأولى الرئاسات الثلاثة صلاحية التصرّف بها وفقا لتقديراتهم الشخصية (خارج قوانين الرقابة المالية)، من أجل انعاش الوسط الاجتماعي. فصرفت مبالغ طائلة بلا حساب ولا رقيب مما تسبب في أول كارثة فساد مالي مشرعنة.

-اجتياح داعش للأراضي العراقية كان سبباً آخر لهدر الأموال وتسربها إلى مختلف الجهات، كعقود الأسلحة وفضائحها أو عقد كاشف المتفجرات، وعقود تجهيز واعاشة القوات المسلحة. والعقود العسكرية، كما هو معروف، مرتع للفساد بسبب حجمها وتنوعها ومصادر استيرادها وكثرة المتنافسين على كسبها، خاصة الشركات الأجنبية التي تدفع رشاوى سخية للوسطاء على حساب الكفاءة والجودة.

-استغلال الأكراد للأزمات السياسية، وفرض شروط قاسية لتسويتها، غالباً ما تكون منح مالية كبيرة على حساب ميزانية البلد.

-جشع السلطة والصراعات الداخلية تضطر المسوؤلين الكبار إلى تسوية الأمور بصلاحيات ومنح مالية، وهذا سبب آخر استنزف الميزانية وتسبب في تفشي الفساد المالي والإداري.

-تقديم الولاء على الكفاءة في الوظائف والمناصب تسبب في

كارثة إدارية كبيرة، فولاء العراقي دائماً لعشيرته وأهل بيته، ومنطقه منطق قبلي يرتكز لقوة عشيرته وسطوتها، فهو مضطر لكسبها وتعميق الصلة بها من أجل مستقبله السياسي.

-رشاوى الانتخابات، التي ساهمت في صعود شخصيات غير كفوءة لمجلس النواب، وتستغرب حجم إنفاق الأحزاب السياسية أيام الإنتخابات. من أين جاءوا بهذه الأموال والثروات؟ عتب شخص على حزب الدعوة وما أنفقه أيام الانتخابات فأجابه الرمز الكبير: لو تعلم كم أنفق عمار الحكيم لما عتبت!!!. وحدثني صديق مقرب عن نفقة نائب يشغل منصب حكومي رفيع كانت الأرقام مذهلة، وكان صادقاً في نقله بعد أن تأكدت من الموضوع من عدة جهات ومن أهالي المنطقة نفسها.

-التدخل الأقليمي والدولي بالشأن العراقي، الذي تسبب بتفكيك عرى الدولة وسيادتها، فكانت تبعاته مزيداً من الفساد المالي والإداري.

-توظيف الدين والحيل الشرعية لتبرير كثير من السرقات، وقد ساهم جملة من رجال الدين في تسويغ السرقات من خلال ما يسمى بالحيل الشرعية، والغريب إطمئنان هؤلاء لسرقاتهم، ويعتقدون بشرعيّتها وحليّتها. والأخطر عندما يعتقد بعض رجال الدين أنه المسؤول الشرعي والمالك الشرعي لثروات البلد وفقاً لبعض المباني إرتكازاً لعقائد خاصة ببعض المذاهب الإسلامية للاسف الشديد.

الفتوى والفساد

س٤١: طارق الكناني: هل تقصد مسألة مجهول المالك وإستحصال فتوى من أحد المراجع بالتصرف في هذه الأموال فالأحزاب الإسلامية غالباً ما تلجأ للحيل الشرعية؟.

ج٤١: ماجد الغرباوي: أقصد كل هذا وغيره، خاصة من يعتقد بحرمة التصرف بالمال العام بدون إذن شرعي من الفقيه!!!، باعتباره نائباً عن الإمام المعصوم، المالك الحقيقي لهذا المال. هذا على المستوى الشيعي، وأيضاً على المستوى السنّي، لا يجوز التصرف ببيت المال إلا بشروط. الآراء الفقهية يا سيدي وفتاوى الفقهاء كانت أحد الأسباب وراء الفساد المالي خاصة. هل تصدق حركة إسلامية تجرأت على سرقة نفط الجنوب وبيعه علناً بدون فتوى؟ أنا لا أصدق إطلاقاً. لأني خبير بالفقه الإسلامي، وخبير بالمتدينين والتزامهم الديني، إنهم لا يتصرفون بدون إذن شرعي. وهل سرق أحد غيرهم نفط الجنوب وباعه بواسطة إيران؟؟ من يجرؤ على ذلك غير الحركات المسلحة الحاكمة في جنوب العراق في بداية السقوط، ولعدة سنوات؟. وكل الحركات المسلحة في الجنوب حركات إسلامية بامتياز. ومن يسهّل أمر التسويق دوليا غير المؤسسات الإيرانية، خاصة الحرس الثوري وغيره. حتى الوسطاء كانوا يعملون علنا بلا رادع، سواء داخل إيران أو المكاتب التجارية في العراق.

رجل الدين والفساد

س٤٢: طارق الكناني: هذا يقودنا إلى الحديث عن دور رجال الدين في الوضع السياسي وتأثيرهم المباشر بإضفاء الشرعية على هؤلاء الساسة.

فقد أفرزت انتخابات مجلس محافظة كربلاء الأولى فضيحة كبرى للأحزاب الدينية حيث فاز (يوسف الحبوبي) وهو نائب محافظ كربلاء السابق صابر الدوري وحصل على أصوات تعادل أضعاف مضاعفة لما حصلت عليه كل الأحزاب الدينية مجتمعة، هل تعتقد أن هؤلاء الساسة كانوا سيحصلون على تأييد الشعب وهذه الأصوات لولا تدخل المرجعيات الدينية؟

ج٤٢: ماجد الغرباوي: لا شك أن بعض الأحزاب الإسلامية كانت تتمتع برصيد شعبي، كجماعة الحكيم. فمحمد باقر الحكيم كان شخصية كبيرة بفضل إرثه العائلي، إضافة إلى كونه زعيماً سياسياً معارضاً معروفاً عالمياً. ولما دخل العراق التفَّ حوله جمع كبير من الناس. وأنت تعلم مدى سطوة الرموز والشخصيات الكبيرة خاصة رجال الدين في مجتمع كالعراق، فكيف بابن مرجعية دينية تاريخية يتمتع بشخصية كارزمية مؤثرة؟. لا شك أنه رصيد جماهيري، طالما عوّل عليه حزب الحكيم وغيره. وبالفعل ساهمت هذه الصفات في فوز مرشحيه. وهذا لا ينفي دور المرجعية الدينية في دعم قائمة التحالف الشيعي. زرت العراق سنة ٢٠٠٥م، أي بعد ٢٥ عاما من هجرتي، فالتقيت

بمعلم صديق كان مربياً احترمه، ففرح بلقائي ودعاني إلى داره في مدينة النجف، فأخبرني إنه خلال عشرين عاماً درس في الحوزة العلمية إضافة إلى عمله، ثم أصبح مقرباً في مكتب السيستاني -قسم الافتاء -، وذكر لي بالحرف الواحد: إنهم أرسلوا مبلّغين إلى كافة المدن الشيعية لحث الناس على انتخاب قائمة التحالف و"حرمة" انتخاب غيرها!!. والرجل توفي بعد ٣ أشهر من لقائنا رحمه الله. والحقيقة كانت ليلة صاخبة بين منطق النقد ومنطق التبرير حول قضايا متعددة، لكنه رحمه الله كان صادقا جدا في شهادته، وأنا أثق به، إلا أنه لم يطق صراحتي واقترح عليّ السفر فجرا الى بغداد، فوافقت مبتهجا!!. لم انزعج منه أبدا، وأقدّر وضعه. أنا أعيش بعقل متحرر، وتجربة حياتية كبيرة بسبب هجرتي ومعايشتي لأحداث كثيرة، وهو يعيش بعقل منغلق، في ظل نظام قمعي، حتى استغربت أنه لا يملك أي تصور عن مجمل القضايا التي تهمنا، بل كان يتعجب حتى من أسلوبي في الكلام، فيقول هذا أسلوب صحفيين يصعب تقليده!!!. ثلاثون عاما مسخ صدام الفرد العراقي، سحقه، حطم قابلياته وإبداعاته، مسخ وعيه حد الرثاثة، فانعكس كل هذا على وضعه بعد سقوط النظام. إذاً كم هي كبيرة معاناة هذا الشعب المظلوم؟.

نعود للسؤال: لقد لعب رجال الدين من جميع الأديان والمذاهب دورا خطيرا في توجيه وعي الناخب العراقي والتأثير على اختيار مرشحيه في الانتخابات من خلال تزوير الخطيب الديني.

الولاء الجريح

س٤٣: طارق الكناني: هل أفهم من مجموع كلامك أنك تشكك بولاء السياسي العراقي لوطنه وشعبه؟

ج٤٣: ماجد الغرباوي: لقد كشف سلوك الأحزاب السياسية عن خواء الشعور الوطني، بل أن ولاءهم للدولة وأحيانا للوطن ضعيف أساساً أو هم حقيقة بلا ولاء للعراق كدولة ووطن وسيادة. فولاء الفرد الكردي لقوميته، ومصالحها فوق مصالح العراق. وولاء الشيعة لطائفتهم بسبب الإقصاء المتعمد والشعور العميق بالمظلومية. فمصالح طائفته مقدّمة على مصالح البلد حينما يقع التزاحم بينهما، فهو منحاز لطائفته لا شعورياً، مثله مثل الفرد الكردي، وهؤلاء يمثلون الغالبية العظمى من الشعب العراقي. وبشكل أوضح ضعف الولاء للحكومة المركزية، بسبب مواقفها من الطرفين. وأيضاً ولاء الفرد السنّي للسلطة، ومستعد للتضحية بمصالح وطنه لأجلها. فالفرد منقسم الولاء، لذا للأسف الشديد لم ينجح الوطن كإطار عام لجميع أبناء الشعب العراقي. ليس تجنياً أو إدانة للشعب، إنما تراكمات السياسة الاستبدادية، والإقصاء المتواصل يجبر الفرد على ا عادة ترتيب أولوياته، فينحاز لقوميته وطائفته كي لا يغامر بهويته من أجل سلطة وحكومة تهمش مصالحه ووطنيته. ودفاع العراقيين عن وطنهم لا ينفي ما تقدم، فالدفاع عن النفس والوطن غريزة بشرية، بل حتى الحيوانات تهب للدفاع عن نفسها عندما يتهددها خطر. ويكاد يكون هذا الحكم مطلقا لولا الموقف الشعبي المتخاذل

من داعش وهو يتمدد داخل الإراضي العراقية، بل راحت التهم تتوجه للعشائر وشيوخها للأسف الشديد. فكيف نفسّر هذا الموقف وأين الولاء للوطن؟. الولاء للوطن ينبغي أن لا يعلوه شيء، خاصة في ظل تنوع ديني ومذهبي وقومي. كيف يمكن توحيد الشعب مع تلاشي الولاء للوطن؟؟؟.

تحدثت طويلا في كتابي تحديات العنف عن الولائين الديني والوطني، حيث أن الحركات الإسلامية قاطبة لا تعترف بالحدود الفاصلة بين البلدان الإسلامية وتقدّم الولاء الديني على الولاء الوطني، حينما يتضارب الولاءان. فتجد صراع الولائين جليا خلال الحرب العراقية الإيرانية. فهناك من يحارب صدام لأنه مجرم قاتل، ومستعد للتعاون مع أي جهة من أجل اسقاطه. لكنه غير مستعد للطعن بالعراق كبلد ووطن. بينما تجد آخرين لا يهمه مصلحة العراق كوطن ما دامت مصلحة إيران الإسلامية تقتضي ذلك، وهؤلاء كانوا وراء سرقة العراق ومعداته ومنشأته ونقلها الى إيران، مع أنها منشأت عراقية لا علاقة للحاكم بها. أتذكر أيام الانتفاضة حيث رابطنا على الحدود طلب رجل دين إيراني من العراقيين التوجه للبصرة وجلب ما يجدونه من السيارات الحكومية، فصرخ بوجهه صديق لي وقال له: ليس من حقك، هذه ممتلكات الشعب وليس سيارات صدام. فأجابه لكننا نطلب العراق كثيرا، وعلينا استغلال الفرصة ونستوفي حقنا، فسرت حالة تذمّر بين جميع العراقيين ولم يستجب له أحد، حتى غضب وذهب غير مأسوف عليه.

الأداء والفساد

س٤٤: طارق الكناني: العراق أمة أنتجت الكثير من العقول السياسية فهم أول دولة عربية نالت إستقلالها في العام ١٩٣٢ بعد ثورات عنيفة وشهدنا قيام حكومات وطنية تمكنت من بناء دولة مدنية عصرية واهتمت بالصناعة والزراعة فكان العراق مُصَدِّراً للحبوب والقطن والتمور وغيرها من المنتجات الزراعية والصناعية. وسعت حثيثاً لبناء جيش على أسس وطنية للدفاع عن العراق وأهتمت بتسليح الجيش بالأسلحة الحديثة في حينها وكانت تسعى لأن يمتلك العراق القنبلة النووية في العام ١٩٦٣ ولكن الإنقلاب الذي حدث في العام ١٩٥٨ حال دون تنفيذ العديد من الأهداف. وكان مجلس الإعمار يضع الخطط الخمسية لبناء الدولة العراقية.. لم تتوقف هذه الحالة حتى بعد إعلان الجمهورية إلاّ في مشاريع معينة واستمرت على وتيرة أقل بسبب انشغال الدولة بالإنقلابات والحروب الجانبية التي كان يتدخل العسكر بها استناداً لعقيدته القومية ولم ينقل لنا التاريخ القريب عن عمليات فساد مشابهة لما هي عليه اليوم!!!

فقد سمعت في أحد الأيام قولا لأحد قياديّ حزب الدعوة أدهشني حيث يقول: إن العراق بيت يحترق فمن أمكنه انقاذ أي شيء من هذا الحريق فهو له.. هذا هو منطق الأحزاب التي جاءت لتحكم العراق عبر بوابة الإحتلال وقريبا من هذا القول إن لم يكن يطابقه سمعته من رجل دين..فهنا تطابق قول رجل الدين مع

الرجل السياسي الإسلامي.

برأيك متى بدأ التراجع في الأداء السياسي العراقي؟ وكيف تمكن هؤلاء من الإنحدار إلى هذا المستوى المتدني من الأداء السياسي الذي يفتقر إلى شيء اسمه الوطنية والكرامة؟

ج٤٤: ماجد الغرباوي: هناك حقيقة: إن الانفتاح الإعلامي الحديث، وتعدد وسائله، إضافة إلى هامش الحرية الكبير، ساهم في فضح الفساد، وتعرية الأداء السياسي للأحزاب الحاكمة. ولولا الانفتاح لضاعت الحقائق. الأرقام اليوم متاحة للجميع، بينما بقيت حقائق الفساد المالي والإداري للحكومات السابقة مجهولة إلاّ ما تسرّب، أو تعمد النظام فضحها. أعوان الحكومات السابقة أيضاً أثروا ثراءً فاحشاً، لكن لا أحد يلاحقهم، بسبب التعتيم الإعلامي، والخوف من بطش السلطة. بماذا تفسّر ثراء المسؤولين البعثيين خاصة في مدن المناطق الغربية وبغداد؟ وماذا يعني استمرار الثراء وهم يعيشون في دول الجوار؟ من أين أتوا بهذه الأموال؟ بل بماذا تفسّر تشييد القصور الرئاسية لصدام على حساب العراق وشعبه الذي كان يموت جوعاً بسبب الحصار؟. ما أريد قوله أن الفساد ظاهرة لها أسبابها، لا تقتصر على الحكومة الحالية ولا على العراق وحده، بل هي قديمة، سببها ضعف الشعور الوطني من جهة وفساد القوانين ثانياً، خلل الأنظمة السياسية القائمة على العنف والإستبداد السياسي، ودكتاتورية الحاكم، فليس هناك رقابة حقيقية، ولا قضاء مستقل، ولا أفضلية للكفاءات. ليس

وطنياً ولا يملك شعوراً صادقاً تجاه وطنه من يخونه بسرقة أموال شعبه، أو فساد، أو تواطؤ مع دولة أخرى، مهما كان دواعيه.

بالنسبة للسؤال دعنا نتفق أولاً على مقياس الأداء السياسي، هل المقصود الكفاءة في إدارة الدولة بشكل يستتب الأمن والنظام، ولو بالقوة والعنف؟ وهذا لا أوافق عليه، رغم ضرورة الأمن والنظام، لأن حرية الفرد عندي أهم. أنا شخصياً لا أطيق الاستبداد، وأرفض الدكتاتور، ولا أحب دولة يسودها العنف. بعض الأنظمة الاستبدادية فيها أمن واستقرار ظاهري لكن على حساب الإنسان وحريته وكرامته، وهذا أرفضه تماما. أنا مع أداء سياسي يحترم كرامة الإنسان. يمنح الشعب حقوقه كاملة. يسعى لاستتباب الأمن والنظام وتطوير البلد. هذا برأيي أداء ناجح ما دام خالياً من العنف والاستبداد والقمع، فتجد اندفاعه ذاتياً للدفاع عنه وتقويمه وتسديده، مادام يشعر في ظلّه بالكرامة والحرية. وهذا النظام سيكون أنجح في النهاية إذا كان جاداً في محاربة الفساد، ومكافحة الجريمة. ما نشاهده في العراق من حيث النظام هو الأفضل حسب الفرض وقياساً على الأنظمة العالمية، لكن أحاطت به ظروف قاسية، وتصدت لسلطته أحزاب تنقصها ثقافة الديمقراطية الحقيقية، ويعوزها الشعور الوطني الصادق، وتقدم أن ولاءات الشعب ليس لدولته، ولا للعراق دائماً، كبلد يضم الجميع، بل ولاؤه أولاً للقومية والمذهب والسلطة، وهو نتاج سياسة الاقصاء.

يا سيدي ما قيمة أمن ونظام بالقمع والقوة يتهاوى في أول

إحتكاك مع الشعب كما حصل بالنسبة للانتقاضة الشعبانية؟؟. وإلاّ وفقا لسؤالك ستكون فترة السبعينات الأقوى والأزهى في تاريخ العراق، لكن هل كانت هناك حرية حقيقية؟ هل كانت هناك كرامة كاملة؟.. ما نشاهده اليوم من انفلات أمني وفساد مالي بالإمكان السيطرة عليه إذا كانت الطبقة السياسية صادقة في نواياها.

فأنا أختلف من حيث المبدأ حول معنى الأداء الناجح. الأداء الناجح: هو الأداء الذي يضمن للشعب كرامته وحريته ورفاهيته وأمنه واستقراره. وهذا لم يتحقق في العراق مطلقاً. وما حصل ظاهراً كان بفعل الإرهاب والقمع لا يصدق أنه أداء ناجح. ربما فترة الحكم الملكي هي الأفضل من حيث الحرية وكرامة الشعب، غير أن الشعب إنقضَّ على الحكم الملكي، وأنهى التجربة التي لم ندركها لتقييمها عن قرب. أنا أعيش في ظل نظام غربي في أستراليا وأفهم ما معنى الأداء السياسي الناجح. الأداء السياسي الناجح هو أداء يضمن سيادة بلده، يحترم القانون، يوفّر للشعب حريته وكرامته ورفاهيته، يشعر الفرد في ظله بالأمن والأمان، فيشارك حقيقة في دعمه وتسديده ومراقبته ونقده، فالشعب في ظل هذا الأداء الناجح شريك حقيقي في السلطة. فهل مر العراق بأداء سياسي شبيه؟؟ كلا، لم يحصل!!!. ونحتاج الى فترة تأهيل ثقافي وسياسي وأخلاقي كي ينتقل البلد للمرحلة الأكثر تطورا. نأمل ذلك، ونتفاءل بمستقبل مشرق للأجيال القادمة.

س٤٥: طارق الكناني: هذا ما قصدته في الأداء السياسي الناجح بالضبط أن يشعر الإنسان في العراق في ظل هذا النظام بالأمن والرفاهية والحرية وتفعيل دور السلطة القضائية وتطبيق القانون بعيداً عن المحاباة وتسلط الساسة فهم لا يختلفون في هذه الجزئية عن نظام صدام حسين فكل الساسة فوق القانون ولايمكن لقاضي أن يحاكم أياً منهم والأدلة أكثر من أن أدرجها!!!، فأين السبب يا ترى؟.

ج٤٥: ماجد الغرباوي: المشكلة ثقافية بنيوية، المشكلة عقود متطاولة من الاستبداد والتسلط، المشكلة الفهم الخاطئ للدين، المشكلة علاقة رجل الدين بالسلطة. أسباب كثيرة وراء هذه الظاهرة. لذا نحتاج تقويم جميع المقولات والمفاهيم الأساسية للعقل العراقي تحديدا، بعد مراجعتها ونقدها، كي نوفّر بنية معرفية توازن سلوك الفرد ضمن ثقافة جديدة، وهذا غير ممكن مع عدم اكتمال الشروط، وعدم وجود بيئة ملائمة. لذا يجب عدم التعويل على الانتخابات القادمة، فالمسألة ليست مرتبطة بالانتخابات واستبدال الوجوه السياسية قدر ارتباطها بسلوك عام وليد تراكمات تاريخية وثقافة متخلّفة لا تحترم القانون، وتقدّس المناصب الحكومية حدا تجعلها فوق الدستور. ثقافة تجعل مصالح الأحزاب والمسؤولين فوق مصلحة الشعب والوطن، ثقافة تعيد ترتيب الأولويات وفقا للمصالح القومية والطائفية. لهذا يجب اعتماد مناهج دراسية تثقّف طلاب المدارس والجامعات على الولاء للدولة والقانون والوطن، ثقافة تزرع

الثقة في نفس المواطن، وترسّخ فيه روح المسؤولية تجاه بلده وشعبه، وتمنحه دور الرقيب والناقد بكل ثقة وأمان. وهذا ليس مستحيلا بل ممكنا جدا، والمسألة مسألة وقت وشعور حقيقي بالمسؤولية. نعم الإجراءات الفورية ضرورية لإنقاذ العملية السياسية قبل انهيار البلد. لكن من يفهم هذا الكلام؟ ومن يشعر بالمسؤولية؟ ومن يكف عن توجهه الأيديولوجي، واندفاعه الطائفي والقومي؟. الأحزاب السياسية الآن مشغولة بترسيخ ثقافتها المذهبية بكل الوسائل المتاحة، وتثبيت شرعيتها دون غيرها، ولا يهمها مصلحة المواطن العراقي بشكل عام.

س٤٦: طارق الكناني: إذاً عدنا من حيث بدأنا فالساسة تنقصهم روح المواطنة والإنتماء وأسسوا للاصطفافات الطائفية بشكل لا تسهل معه العودة إلى الوراء وهم الآن بصدد تقزيم التعليم والغاء المجانية وإستبدال المناهج والغاء البعثات الدراسية ففي دورتين متتاليتن تمكن وزراء حزب الدعوة من الغاء الشهادة العراقية وسحب الأعتراف الدولي منها وخروج الجامعات العراقية من التصنيف الدولي فهي لم ترد ضمن قائمة التصنيفات الدولية.. بعدإن تم انهاء حيادية القضاء وتسيسه.

والسؤال: هل تتفق معي إن هذه الإجراءات عملية ممنهجة للقضاء على مرتكزات الثقافة والعلم والعدالة في العراق، أم لها تسمية أخرى؟ وهل هذه الإجراءات جاءت تلبية لرغبة طرف معين أم هي رؤية حزبية في بناء الدولة للحكام الجدد؟

ج٤٦: ماجد الغرباوي: كل الأحزاب المشاركة في الحكومة مدانة، وكل وزرائهم مدانون، وعلى رأسهم وزراء التعليم والتعليم العالي. حسب اطلاعي ليس لحزب الدعوة (المكتب العام) وزراء في الحكومات المتعاقبة ما عدا التعليم العالي مرة واحدة (علي الأديب).

الإرباك في وزارتيّ التعليم والتعليم العالي جزء من خلل مركزي، وإلاّ كيف يتصرف الوزراء خطأ لو كانت هناك استراتيجية مركزية وهناك تخطيط مركزي للدولة؟ استاذ طارق، الدولة العراقية منذ ٢٠٠٣م تعمل بدون أي استراتيجية ورؤية. قراراتها ردود أفعال يومية. ليس هناك خطة لعشر سنوات وأخرى خمسية. الوزير يتصرّف مزاجيا في أحيان كثيرة. لقد انتقلت الدولة بعد السقوط الى نظام حديث فاجأ الجميع. فاعطوا للوزراء صلاحيات على غرار وزراء الدول المتقدمة، وهذا خطأ كبير، كان العراق بحاجة الى فترة انتقالية تمهد لتحديث اجهزته ووسائله. أنا استبعد نظرية المؤامرة، لكن هذا الحجم من الفسادين المالي والاداري يسمح بكل شيء، يسمح بالتدخل، بالاختراق، بتنفيذ مخططات، بفرض رؤية معينة. كل شي ممكن. فأنا لا استطيع ردك والدفاع عنهم لكثرة الأدلة والأرقام التي تدينهم. أذهب واسأل كل رجال الدولة عن أسس دولتهم، وركائزها ونظامها السياسي، وآليات عملها، وخططها المستقبلية وطريق تنفيذها، وأحكم عليهم في ضوء أجوبتهم، ستتفاجأ. لا

توجد نظرية للدولة العراقية الحديثة إطلاقا، فهي ما زالت متأرجحة، بين الدولة الدينية والديمقراطية. والأنكى أنهم لا يسمحون للمفكر والمثقف وأهل الاختصاص أن يأخذوا دورهم في بناء منظومة فكرية تقوم على أسس نظرية متينة. تصور أن أحد أسباب مأسي الدولة العراقية الحديثة دستورها، فهل يعقل أن يكون الدستور سببا لمشاكل البلد؟ لكن هذا هو الواقع لأنه دستور مكونات وليس دستور مواطنة. دستور تمت كتابته في ضوء إملاءات طائفية وقومية وأخرى خارجية.

ثم ما حصل بسبب الإرهاب لا يطاق يا صديقي فلا نلوم السياسيين دائما. لقد أنهكت دول الجوار والدول الاستعمارية العراق بجرائمها، وكاد الصراع الداخلي يطيح بالدولة عدة مرات قبل سقوطها على يد الإرهاب. يجب أن تُذكر جميع الحقائق فهذا تاريخ نحن مسؤولون عنه.

س٤٧: طارق الكناني: إذاً عدنا إلى عدم وجود رؤيا لبناء الدولة كما افتقدوها في ادارة احزابهم.هل تعتقد أن هؤلاء الساسة هم ورثة أسلافهم من العراقيين، خصوصاً إذا عرفنا أن البعض منهم كان من أبناء الوزراء في العهد الملكي والجمهوري؟

ج٤٧: ماجد الغرباوي: لا تزر وازرة وزر أخرى ولا يؤخذ الشخص بجريرة أبيه، ولكل شخصيته وأداؤه، وقيمه ومبادئه، وقناعاته. وإذا كنت تقصد الشعور الوطني وضعفه، فتقدم أن ضعف الشعور الوطني له عوامل، أهمها عدم وجود ولاء حقيقي للدولة ككيان،

لأن المواطن لم يلمس منها اهتماماً حقيقياً بكرامته وحقوقه. وظل أبناء البلد يتوارثون هذا الشعور وهذا الموقف من الحكومات المتعاقبة، فربما هؤلاء ورثوا عدم الولاء للدولة، وبالتالي عدم الولاء للوطن، فراحوا يتسابقون على نهب ثروات البلد كغنيمة، لا يؤنبهم ضمير، ولا يردعهم دين، ولا تقف بوجههم أخلاق.

منطق الثأر

س٤٨: طارق الكناني: بل العكس لم أكن أعرّض بأبائهم بل كنت أستغرب كيف يكون ساسة اليوم أبناء أولئك الرجال الذي بنوا عراقاً حقيقياً خال من هذه الأمراض !!!

دعني أطرح هذا السؤال وأرجو أن يتسع صدرك لما سأقوله فأنا هنا باحث ولدي معلوماتي الخاصة وأبغي مقارنتها بأجوبتك التي تسودها الصراحة والتجرد والموضوعية.

سمعت من قيادي في حزب الدعوة وهو (علي الأديب) وهو بدرجة وزير وآخر بدرجة محافظ وهو (آمال الدين الهر) وآخر برلماني (عزت الشابندر) مقولة وأنت اليوم تكررها بشكل وآخر هذه المقولة مفادها أن العراقيين الذين بقوا في الداخل أما بعثيون أو متملقون لصدام وزمرة البعث.. إن تطابق هذه الأقوال يجعل من أعضاء حزب الدعوة رجالاً ذوو نمط ثأري أو موتورين كنّا قد وصفناهم في بداية الحوار وهم لا يصلحون لإدارة البلد، وقد أثبتت السنوات الماضية فشلهم، ألا تعتقد أنه قد آن الآوان لمغادرتهم سدة الحكم والعودة إلى حياتهم الطبيعية بعد الإعتذار من الشعب الذي تسببوا له بالويلات؟

ج٤٨: ماجد الغرباوي: أنا لم أتهم الشعب بشيء، كنت فقط أصف موقفه من المعارضة، وقدّمت أكثر من تفسير لهذا الموقف. كما لم أتكلم بنبرة الثأر إطلاقا لأني هنا باحث أنقل لك الحقيقة ومشاهداتي وما عايشته واكتويت بناره وعانيت بسببه وما زلت،

ولا أتذكر فكرتُ بالثار من أحد رغم مظلوميتنا.

أما عن منطق الثأر فهو مرفوض من أي جهة صدر، ولما فتح الرسول مكة قال لهم اذهبوا أنتم الطلقاء. ومن مثل قريش آذى الرسول وأصحابه، ومن بحجم قريش عادى الإسلام ورسالته؟. ومن ذكرتهم في سؤالك ليسوا إلا مصاديق لمنطق عام لدى المعارضة وغيرها، داخليا وخارجيا، فما فعله عراقيو الداخل من أعمال ثأر ليس قليلا خاصة بداية السقوط. كانت الجثث تطوف في شوارع المدن العراقية انتقاما من أزلام البعث، ولا شك أن أعمال الثار تسببت بقتل عدد كبير من الأبرياء. وهذا مكمن الخطر.

منطق الثأر له أسبابه، منها: روح الانتقام بفعل سياسة البعث وأزلامه، ورجال أمنه وأعوانه ومخبريه، فثأر الناس بعد سقوط النظام لأبنائهم وأبائهم وأقربائهم. وهذا يحصل في بداية الثورات عادة، فما حصل في بداية الثورة الفرنسية مقرف، استمر القتل بالشوارع لثلاث سنوات. أما في العراق للأسف الشديد ما زال منطق الثأر سائدا رغم انحساره، لكن الأخطر عندما يكون المسؤول حقودا لدرجة يطالب بالثأر وربما يتبناه أو يساعد عليه. مما يعني لا نهاية إطلاقا لهذه الظاهرة التي كلفت العراق وشعبه غاليا.

ومن الأسباب التي ساعدت على استشراء ظاهرة الثأر ما فعله أزلام صدام بعد سقوط النظام وما زالوا، سواء من خلال عملياتهم الإرهابية أو من خلال مواقعهم الإدارية في الدولة. فالناس تنظر لهم بريبة شديدة، وهم في كل مرة يرتكبون ما يؤكد للجميع

حقدهم وعدوانيتهم. فهم ينتقمون من الجميع، لكن للأسف تجد البعض يبرر سلوكهم، ويعتبره جرائمهم بحق الوطن والأبرياء من أبناء الشعب مقاومة مشروعة!!.

إن منطق الثأر مع كامل الشعب بجريرة بعضه خطأ فادح، يخسرون بسببه قواعدهم الشعبية، ويعمّقون روح العداء والتنابذ، فيخلقون فجوات اجتماعية لا تردمها سوى دماء الأبرياء. والأغرب صرّح بعض المسؤولين تصريحا ثأريا استفزازيا أثار حفيظة طيف واسع من الشعب، حينما صرّح الشيخ قيس الخزعلي وهو أحد قادة الحشد الشعبي المدعوم حكوميا: (إن معركة الموصل ستكون تمهيدا لقيام دولة العدل الإلهي، وإن شاء الله ستكون ثأرا وانتقاما من قتلة الحسين "ع" لأن هؤلاء الأحفاد من اولئك الأجداد). فالثأر يبدو ثقافة راسخة في الوجدان العراقي للأسف الشديد.

أما عن سؤالك: ليتهم شجعان يعترفون بالحقيقة ويعترفون بمسؤوليتهم تجاه العراق وشعبهم. ليتهم نبلاء ويعتزلون الحياة السياسية ليفسحوا المجال لجيل آخر يقود البلاد نحو برّ الأمان. المشكلة كل واحد منهم يعتقد أن خلاص العراق على يده فواجبه التمسك بالسلطة والحكم مهما كلف الثمن، وآخر يعتقد أن تصديه للسلطة تكليف شرعي!!! وإلا تبقى الدولة بدون غطاء شرعي ويحرم التعامل معها!!!!. أنا معك بل أغلب العراقيين يؤيد دفع هؤلاء عن مواقع المسؤولية وتقديم المجرمين للقضاء كي ينالوا عقابهم العادل.

س٤٩: طارق الكناني: كما قلت أن لي مصادري في الحصول على المعلومات ومن مصادر موثوقة، هناك إجتماع حدث في طهران في منتصف التسعينات (١٩٩٦) في مقر منظمة العمل الإسلامي ترأسه (محمد مهدي الآصفي) بعد عودته من لندن كان الإجتماع يضم الشيخ جاسم الأسدي أو (محسن الحسيني)، محمد باقر الحكيم، عبد العزيز الحكيم، وعبد الزهرة عثمان ومعروف بـ (عزّ الدين سليم)، أبو مهدي المهندس، شخصان من مؤسسة الخوئي لم أتعرَّف على أسميهما، وبعض الأشخاص وقد قام الشيخ الآصفي بإبلاغ الحضور بأن حزب الدعوة هم من سيستلم الحكم في العراق بعد سقوط صدام. وأعتقد في هذه الفترة كان بل كلينتون قد وقع مشروع تحرير العراق، ترى من أين حصل الشيخ على هذه التطمينات حيث بدا الشيخ في حديثه ذلك واثقاً تماماً من هذه المعلومة؟

ج٤٩: ماجد الغرباوي: لا أتذكر هذا الاجتماع ربما بسبب كثرتها وعدم جدواها. هكذا اجتماع ممكن لتداول الشأن العراقي. المهم سؤالك: هل يمكن للشيخ محمد مهدي الآصفي (الناطق الرسمي لحزب الدعوة الإسلامية) أن يقترح أو يحاول إقناع الأطراف الأخرى بمقترحه؟

لا يمكن للآصفي ولا لغيره أن يفرض شيئا على المجتمعين آنذاك، لعدة أسباب:

أولا: كان الصراع محتدما بين الدعوة والمجلس الأعلى (الحكيم) على زعامة المعارضة وقيادة تحركاتها في إيران وخارجها. فالدعوة تطالب بحقها التاريخي كحركة معارضة أصيلة ولها قواعدها، وهي الأكثر تضحيات، وقد خصها صدام بقانون لئيم (١٩٨٠) يقضي باعدام أي شخص ينتمي لحزب الدعوة بأثر رجعي. في المقابل السيد الحكيم كان يطالب برمزية والده وإرثه الديني، ويحتج بتاريخه وانقياد العشائر له وللمرجعية الدينية فيرى الزعامة متعينة فيه، وما على الدعاة إلا طاعته. فليس معقولا أن يملي الآصفي قراراته ويسكت الحكيم.. نعم، ربما يقترح وهذا معقول، أو يطالب بحق الدعوة وتاريخه وأيضا هذا ممكن واعترفت به الكتل والأحزاب السياسية عندما وافقوا على تولّي ٣ دعاة لرئاسة الحكومة بشكل متتال (إبراهيم الجعفري، نوري المالكي، حيدر العبادي).

ثانيا: سبق أن ذكرت أن إيران هي صاحبة القرار وليس قادة المعارضة، وكانت القرارات تملى عليهم رغم تمرّد بعض الأطراف. وكانت مصلحة إيران تقتضي دعم المجلس الأعلى، فدعمته بإسراف وتجاهلت حزب الدعوة وثقله السياسي. وكانت تنحاز علنا للمجلس الأعلى وقادته بعد سقوط النظام العراقي لولا الانتخابات العراقية التي فرضت المالكي فاضطرت للتعاون معه ودعمه حفاظا على مصالحها. فمن أين يمكن للشيخ محمد مهدي الآصفي وحزب الدعوة المنبوذين تحدي الإرادة الإيرانية؟؟.

ثالثا: كانت المعارضة الإسلامية تنسّق مع المعارضة العراقية في إطارها الوطني، وكانت تلتزم بقراراتها ما لم تتقاطع مع مصالحها، فلا يمكن للشيخ محمد مهدي الآصفي أو غيره فرض أي شخصية دون موافقة الأطراف الأخرى. وهذا أشبه بالميثاق بين جميع أطراف المعارضة.

رابعا: مؤتمرات المعارضة العراقية العامة بدأت تنسّق مع أمريكا وبريطانيا وإيران وسوريا علنا، نهارا جهارا، ولهذه الدول مصالحها واجنداتها ورجالها ممن تعتمد عليهم لتأمين مصالحها في العراق، فهل يمكن للمعارضة تجاوزها، فضلا عن حزب الدعوة والشيخ محمد مهدي الآصفي.

أأكد مرة ثانية عدم اطلاعي على أخبار هذا الاجتماع فضلا عن قراراته ومن شارك فيه. ثم يفترض أن هكذا اجتماع تنشر أخباره بين العراقيين الذين يهتمون بجميع أخبار المعارضة. ثم ليس من السهل على العراقيين تقبّل أي قرار بسهولة ما لم يسُد اللغط والتكهنات والتحليلات والتعليقات، وينشغل به الناس فترة طويلة، وهذا الاجتماع لم أجد له أصداء في ذاكرتي. لكن ربما ما تنقله صحيحا، وكان اجتماعا سريا لم تذع أخباره، أو فشل في وقته وانتهى أمره.

س٥٠: طارق الكناني: هو لم يكن للتشاور إنما كان املاءات وتبليغات وكانت التطمينات بريطانية وليست إيرانية جاء بها الشيخ طي عبائته من لندن وقد كان يومها مزكوماً.

ج٥٠: ماجد الغرباوي: تفصيلات دقيقة أستاذ طارق، يبدو الخبر تسرّب من جهات لها إطلاع كامل بما يجري داخل الغرف المغلقة. أكرر لا استبعد أي شي، فعندما تكون في المعارضة، وتتفاوض مع الدول، ينبغي أن تستعد للمساومات التي تطال سيادة بلدك وأمنك، فالدول لا تدفع مجانا بلا مقابل إطلاقا. وليس هناك مصالح تعلو على مصالحها. وساذج من يعتقد أن بعض الدول تساعد العراق الآن تقربا لله تعالى أو خدمة لدين أو مذهب، كل هذا مستحيل، الدول تنطلق من مصالحها. فما تفضلت بأنها كانت إملاءات بريطانية أتعقله وهذا ممكن لكن كل شيء يجري بحساب وليس من حق بريطانيا التفرّد في القرار خاصة في المرحلة التي تحدثت عنها، تشابكت مصالح الدول المعنية بالشأن العراقي، وأي قرار يصدر من أي جهة لا يحظى بالقبول ما لم يتفق مع جميع الفرقاء. فالمعارضة رغم ضعفها كان لها مطالبها وترفع صوتها عاليا للمطالبة بها، وبالتالي كانت الأطراف الدولية تحسب حساب المعارضة ومصالحها.

المحور الخامس

الدولة في الفكر الإسلامي

إدارة الدولة

س٥١: طارق الكناني: لنسلّط الضوء على إدارة الدولة في الفكر الإسلامي، وتحديداً في أدبيات حزب الدعوة الإسلامية، وعن أسلوبهم في الحكم. أو مفهوم إدارة الدولة لدى هذا الحزب.

هل يتطابق الأسلوب الذي تؤمن به الأحزاب الإسلامية وخصوصا حزب الدعوة الإسلامية مع النظام الديمقراطي الذي أقسمت الأحزاب الإسلامية على تطبيقه في العراق؟. إذا كان يتطابق لماذا لم نر أي شكل من أشكال الديمقراطية التي يتغنى بها هؤلاء فالقتل نصيب كل المعارضين وأصحاب الكلمة مصيرهم الاعتقال او التغييب أو القتل بشكل علني؟

ج٥١: ماجد الغرباوي: بالنسبة للشق الأول من السؤال عن مدى تطابق النظام الديمقراطي مع الثوابت الفكرية والعقيدية للحركات الإسلامية، وخاصة حزب الدعوة الإسلامية الحاكم في العراق حاليا، أقول:

الحركات الإسلامية ترفض الديمقراطية كنظام حكم، لكن تقبلها كآلية إجرائية فقط. أي آلية مجردة من حمولتها الفكرية والثقافية، كما في إيران التي ترفض الديمقراطية كنظام حكم، لكن تعتمد آلياتها في اختيار رئيس الجمهورية وأعضاء مجلس الشورى والبلديات، وأيضا التصويت داخل مجلس الشورى الإسلامي خارج حدود التشريع.

ثوابت الفكر الإسلامي، وخاصة الفكر الحركي، تصطدم

مع مرجعيات وثوابت وقيم الديمقراطية، فالأخيرة ليست فقط نظام حكم بل ثقافة وأسس ومرجعيات فكرية وعقيدية تختلف عما يؤمن به الإسلامي الحركي، لذا تجد الممارسات الديمقراطية في الشرق شوهاء، لعدم انسجامها مع ثقافتها ومتبنياتها. الديمقراطية تؤمن بحرية الترشيح مع توفّر الشروط بغض النظر عن توجهاته الفكرية والعقيدية. بينما الشرق يلتف على الديمقراطية من خلال الشروط. فإيران مثلا لا تسمح بترشيح أي شخص مهما كانت كفاءته ما لم تضمن ولاءه للولي الفقيه، عقيدة وفكرا، وقيادة. فهكذا شروط تعرّقل الأداء الصحيح للديمقراطية لتصبح صيغة هجينة، شوهاء تفقد وظيفتها، وتخفق في إيصال الشخص الكفوء الى هرم السلطة. فهنا لا يصدق أن إيران بلد ديمقراطي لمجرد توظيف الديمقراطية كآلية في الحكم. الديمقراطية الفاعلة هي الصيغة السياسية المبتنية وفق أسس ومفاهيم وقيم محددة.

-ومن ثوابت الديمقراطية أن الشعب مصدر التشريع، بينما مصادر التشريع بالنسبة للحركات الإسلامية تنحصر بالكتاب والسنة، وامتدادها كفتاوى الفقهاء، وليس للإنسان حق في التشريع. وهذا اختلاف جوهري. وحتى منطقة الفراغ، كما يصطلح المفكر الفقيه محمد باقر الصدر، فليس لأحد حق التشريع وإملاء الفراغ التشريعي سوى الفقيه، القادر على استنباط الحكم الشرعي.

-الديمقراطية تعتمد النقد والمساءلة في تقويم مسار الحكم،

وترتكز للكفاءة والاختصاص في تشريع الأنظمة والقوانين. بينما المرجعيات السياسية والدينية لا يطالها النقد والمحاسبة إطلاقا. باعتبارها سلطة عليا. وآراؤها املاءات شرعية لا يعترض عليها أحد. سمعت يوما الشيخ (أحمد جنتي) إمام جمعة طهران في معرض شرعنة آراء الفقهاء وخاصة الوليّ الفقيه وحرمة الاعتراض عليها يروي حديثا يختص حسب ظاهره بأحكام القضاء، لكن الشيخ (جنتي) وظّفه لتحصين سلطة الولي الفقيه فقال: (الراد عليهم كالراد علينا والراد علينا راد على الله!!!)، وبهذا انحصرت وظيفة الشعب بالاصغاء والتنفيذ، مع حرمة الاعتراض والنقد. فلاحظ الفوارق الجوهرية بين النظامين الديمقراطي والإسلامي. (طبعا استخدم صفة إسلامي فيه مجازفه فهذه آراء الفقهاء ورجال الدين لتكريس سلطتهم الدينية والسياسية)

-الديمقراطية تؤمن بالتعددية والحرية وتعتبرهما حقا شخصيا محترما (حرية الرأي والعقيدة وحرية التعبير)، فللفرد حق الإرتداد وتغيير الدين فضلا عن نقد المجتهد ومعارضته. وحق التعبير عن رأيه مكفول قانونيا مهما تقاطع مع الثوابت الدينية، التي هي خطوط حمراء في النظام الإسلامي. فالمرتد في هذا النظام يُقتل. والحرية مقيّدة بقيود صارمة، خاصة حرية التعبير. والقضاء يجب أن يكون وفقا لأحكام الشريعة، التي لا يجوز مخالفتها ما دامت منصوصا عليها قرآنيا، بينما تقام العدالة في ظل الديمقراطية وفقا لمبادئ حقوق الإنسان ومراعاة الضرورات والظروف المحيطة

بالجاني.

-النظام الإسلامي لا يسمح لغير المؤمن بتوّلي رأس السلطة العليا، بينما تعتبر العقيدة أمرا شخصيا ويمكن لأي مواطن الترشيح للمناصب العليا وفقا للدستور.

وبالتالي فقَسَم الحركات الإسلامية على الدستور (كما ذكرت في سؤالك) لا يعني إيمانها بالديمقراطية، وإنما موافقة مبدئية عليه بعدما كتبته بيدها، وضمّنته موادا وبنودا دستورية بمجموعها يعادل دولة دينية ثيوقراطية، فتأتي الموافقة من باب الأهم والمهم، كخطوة أولى تمهيدية إلى حين تعديل الدستور مستقبلا. وسيتحقق ذلك ما دامت الحركات الإسلامية من السنة والشيعة تشكّل أغلبية أعضاء مجلس النواب العراقي. فالمسألة مسألة وقت ليس إلا. كل الحركات الإسلامية تؤمن بنظام حكم ديني رغم الاختلاف بتفاصيله، والجميع يسعى لذلك وينتهز الفرص التشريعية المناسبة. بل أن بعضهم يود الآن قبل غدٍ لذر الرماد في العيون، كي يوحي للناس الطيبين ولاءه للدين وحرصه على أحكام الشريعة وبذلك يسدل الستار على فساده وسرقاته، ويرسّخ قدمه في الحكم. إنها كارثة ستنطلي على الشعب، وسيعاني منها مستقبلا.

نعود للشق الأول من السؤال لنؤكد أن الحركات الإسلامية بما فيها حزب الدعوة الإسلامية في العراق لا تؤمن بنظام ديمقراطي أو غيره يتقاطع مع قيم ومبادئ الدين وفقا لفهم رجل

الـدين، المشـكوك أساسـا في مصـداقيته بسـب إنحيـازه لمذهبـه وطائفته وضرورات ما يؤمن به.

ثـم أن هـذه الحركـات بعيـدة كـل البعـد عـن الممارسـة الديمقراطيـة داخـل التنظـيم (بـين القاعـدة والقيـادة) إلا بمقـدار الضـرورة وكآليـة فقـط ومنحصـر داخـل القيـادة إذا كانـت قيـادة جماعيـة كمـا بالنسـبة لحـزب الـدعوة. وهـذا الحـزب رغـم إيمانـه بمبدأ الشورى في قراراته، لكنه لا يتخلى عن ثوابته الدينية لصـالح الديمقراطيـة، ولا يسـمح بتشـريع قـوانين تتعـارض مـع الكتـاب والسـنة، مهمـا كانـت مصـلحتها وأهميتهـا، فالتشـريع الإسـلامي أولا، ولا ترفع اليد عنه إلا ضرورة وبإذن الفقيه وتقديره للمصلحة العامـة. حريـة التعـبير والنقـد والاعـتراض داخـل الحلقـات الحزبيـة محدودة، فلا يستطيع الداعية التعبير عن قناعاته المخالفة لقناعـات الحزب.

الحركـات الإسـلامية لا تـؤمن بدولـة المواطنـة رغـم تأكيـد الرسول عليها في ميثاق المدينة بل آيات الكتاب المجيد تعضد ذلك. لـذا أشـك ببعض التشـريعات، وأخشـى الانقـلاب عليهـا مسـتقبلا، فهناك من يطالب بتطبيق أحكام أهل الذمة التي شُرعت في ظل ظرف خاص، ولضـرورات أمنيـة تخـص مجتمـع مدينـة الرسـول ومـا حولها.

أؤكـد ثانيـة أن الحركـات الإسـلامية قاطبـة لا تمـارس الديمقراطيـة داخـل التنظـيم. فهـي حركـات آيديولوجيـة قوامهـا

الطاعة، تتلقى القاعدة أوامرها من القيادة (خاصة مع وجود قائد وزعيم روحي على رأس الهرم) وتبادر لتنفيذها باعتبارها قرارات مقدّسة، وإلا تنهار الحركة. دار حوار بيني وبين أحد قيادي حزب الدعوة قبل سقوط النظام بسنتين حول حق النقد والتقويم، ولماذا لا يفسح حزب الدعوة حق النقد والتوغل في نقد متبنياته ومواقفه؟ قال: الدعاة يمارسون النقد وأنت تعلم بذلك تفصيلا، قلت: نعم يمارسون النقد بمعنى جلد الذات وتقريعها، عندما يشعر بتقصيره معها، أما ما أعنيه بالنقد نقد الأسس الفكرية والعقيدية. قال هذا مستحيل وإلا سينهار الحزب، الحزب حركة أيديولوجية قوامها الطاعة والخطاب العاطفي لتحشيد القوى.

وكلامه دقيق ينطبق على جميع الحركات السياسية في العالم، خاصة وهي تمارس نضالا سلبيا، ركيزته الأساس الثقة بالقيادة والطاعة لها.

الحركات الإسلامية تبالغ في تقديس قادتها، حدّاً تتحول القيادة مرجعية نهائية مقدسة لا تناقش ولا تحاسب. وتصور حينما يضفى على قيادة الحركة طابعا غيبيا، كاللطف والتسديد الإلهي، فماذا يحصل؟. عندما كان د. ابراهيم الجعفري، رئيسا للوزراء كان يوحي لأصدقائه ومقربيه أنه مسدد من قبل الله تعالى، وأن اللطف الإلهي يحيطه، وهو يشعر به تماما!!، مما يعني أن قراراته صائبة مسددة من قبل الله تعالى!!!!. وهذا ضرب من الغرور وتضخّم الأنا. ويكفي ما حصل معه بعد أربعة أشهر من

توليه المنصب لنعرف أين الحقيقة..

الديمقراطية سيدي الكريم، ثقافة وتربية وقناعة حقيقية، لا يمكن تطبيقها في بيئة لا تؤمن بثوابتها، لذا تفشل في بيئة الشرق وتزدهر في بيئة الغرب ما دام الشعب مهيّأ ديمقراطيا، فتأتي النتائج دائما لصالحه وصالح بلاده، ولا تكرّس لصالح هذا الحزب أو ذاك. أكيد سمعت كيف يستقيل المسؤول الحكومي إذا دارت حوله شبهات فساد مالي أو إداري، أحيانا يستقيل رغم رمزية الهدية أو المبلغ الذي يستلمه، أو لمجرد أنه تأخر في الإخبار عنه. بينما يسرق المسؤول في الشرق علنا، وفي ظل حماية المسؤولين الآخرين بموجب اتفاق ضمني يسمح بالسرقة على طريقة (سد لي وسد لك).

أما بالنسبة للشق الثاني، فاعتقد أنها ممارسات عامة، تصدر من الجميع لا فقط حزب الدعوة وربما حزب الدعوة أهون الحركات الإسلامية باعتباره الحزب الوحيد المجرد من المليشيات المسلحة، والحزب الوحيد الذي أكتفى برئاسة الوزراء دون مناصب وزارية أخرى. فما ذكرته من شواهد لا تخصهم فقط بل هي ظاهرة المليشيات المسلحة، وظاهرة الصراع على السلطة. وإذا أضفنا لها متبنيات الحركات الإسلامية التي تبيح لهم تكميم الأفواه بعنوان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثلا، أو أي عنوان يبيح لهم استخدام العنف ضد الآخر، فلك أن تتصور كيف ستؤول الأمور. لكن لا أنفي أي شيء، وكل شيء متوقع للأسف الشديد،

وربما هناك ما يؤكد ما ذكرت ولم اطلع عليه.

صدقية النظام الإسلامي

أما بالنبسة لمقدمة السؤال:

الإسلام لم يشرّع نظاما سياسيا وأكتفى القرآن الكريم بمبادئ وقيم حاول المفكرون الإسلاميون في ضوئها صياغة نظام إسلامي. الحقيقة هي أنظمة سياسية(غربية)وضعية تم تلفيقها ثم نسبت للإسلام، أي أنظمة ملفّقة. وهناك كتب عديدة بما فيها مناهج ورسائل وأطاريح جامعية، تناولت النظام السياسي الإسلامي وتفاصيله. وطبعا المتبنيات الشيعية والسنية (العقيدية والفكرية والفقهية) حاضرة بقوة. فهناك كما تعلم نظريتان حول الحكم. النظرية الأولى ذهبت الى مبدأ الشورى في الحكم، وهي مدرسة الصحابة، لتصحيح خلافة أبي بكر بن قحافة، أول خليفة للمسلمين بعد الرسول. والثانية ترى أن الإمامة أو الخلافة نص من قبل الله تعالى، بلّغه رسول الله للناس يوم الغدير، وخص به علي بن أبي طالب وولده من بعده. لإثبات أحقية الإمام علي بالحكم وتجريد خلافة أبي بكر شرعيتها.

أضع بين قوسين مسألة مهمة جدا أن التنظير للخلافة والإمامة كان متأخرا، حيث قامت كلا المدرستين بتعضيد آرائهما بأدلة عقلية ونقلية كثيرة، ثم بعد ذلك تم التنظير لهما حتى صارت نظريتين: الشورى والإمامة. وإلا لم يكن هناك أي تثقيف فكري أو عقائدي قبل السقيفة. مما يعني، وهنا مكمن الخطر، أن الخلاف بين الصحابة كان خلافا سياسيا لا يرتكز إلى قاعدة

فكرية أو عقيدية، ثم جاء التنظير والدفاع والتثقيف عليهما. وهذا نقطة ضعف كبيرة جدا، أن الفكر العقيدي بخصوص الخلافة والإمامة كان متأخرا، فلا يمنح أي النظريتين شرعيتها!!!. فالصحابة لم يستشهدوا يوم السقيفة بآية أو رواية عن الرسول سوى ما ادعاه أبو بكر بأن الخلافة في قريش. والإمام علي لم يحتج بآية أو رواية أو عهد عن الرسول وإنما احتج عليهم بما احتج به المهاجرون على الإنصار، وهو القرشية والقرب من رسول الله.

ووفقا لهذين النظريتين ثمة بون شاسع في فهم طبيعة الحكم الإسلامي، فالنظرية الأولى تعتمد الشورى مرجعية لحسم الأمور السياسية، بينما يكون الإمام منصوصا عليه عند الشيعة بوصية خاصة، بل قالوا أن الرسول ذكر أسماءهم واحدا واحدا. ثم يتولى الفقيه الأمر خلال غيبة الإمام الثاني عشر.من هنا يعتقد الشيعة بغصبية السلطة ما لم تكن باشراف فقيه عادل جامع للشرائط، وبعض آخر يعتقد بغصبيتها مطلقا ما لم يتول الإمام المعصوم إدارتها، ولا أدري كيف ستدير الدول شؤونها مع غيبة الإمام في نظر هؤلاء الفقهاء؟؟. كان الموظف الشيعي الملتزم دينيا، كما أتذكر، لا يتصرّف براتبه الحكومي إلا بإذن من الفقيه أو وكيله المعتمد!!. لأنها دولة مغتصبة لا يحق لها التصرّف بالمال العام. حتى الشيخ محمد حسين النائيني، وهو فقيه شيعي كبير، أول من نظّر للديمقراطية والدستورية بطريقة فقهية ـ أصولية أكّد في أول كتابه: تنبيه الأمة وتنزيه الملة، على غصبية السلطة، لكنه استدرك بأن الديمقراطية والدستورية أفضل من

الاستبداد. فتنظيره للديمقراطية لا إيمانا بها إنما من باب الضرورة وحفظ المصالح. من هنا أكاد أجزم، وفقا لما أعرفه عن المتبنيات الشيعية ومتبنيات الحركات الإسلامية الشيعية، أن رؤساء الوزراء الثلاثة الشيعة في العراق بعد سقوط البعث (إبراهيم الجعفري، نوري المالكي، حيدر العبادي) قد استأذنوا المرجع الديني الأعلى للطائفة في ممارسة السلطة، فهم يتصرفون بإذن الفقيه لا بإذن الدستور!!!، وهذا ربما لا يعرفه إلا النادر من الدعاة الخبراء بالفقه الشيعي.

السيد محمد باقر الصدر، فقيه ومنظّر ومؤسس حزب الدعوة، كان يؤمن أولا بالشورى، ثم نظّر لنظرية خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء وفي آخر أيامه قال بولاية الفقيه، أي الإيمان المطلق بالاستبداد الديني ودكتاتورية الفقيه الولي، كما هو معمول به في إيران، حيث لا سلطة تعلو سلطة الولي الفقيه.

حزب الدعوة ليس استثناء بالنسبة لنظام الحكم في الإسلام فكل الإسلاميين يرتبكون في تحديد صيغته النهائية. وربما ولاية الفقيه أفضل الصيغ بالنسبة لهم، لأنها تنهي حالة القلق وتريحهم من عبء الحرية التي يهربون منها، وتلقي كامل المسؤولية القيادية على الولي الفقيه، ويبقى دورها إجرائي تنفيذي.

الكل يتفق أن كلمة الفصل للفقيه والشريعة الإسلامية، وأن السلطة حق محصور بالإمام المهدي أو من ينوب عنه وهو الفقيه، لكنهم يختلفون حول تصديه لها، ويختلفون حول جواز قيام دولة إسلامية.

وحدة المرجعيات الفكرية

س٥٢: طارق الكناني: وهم بذلك أطلقوا على المتصدي للمرجعية الحاكم الشرعي ايمانا منهم بعدم شرعية السلطة، هذا من جهة ومن جهة أخرى، أعتقد أنني أخترت حزب الدعوة كنموذج للأحزاب الإسلامية، لعراقة الحزب وكثرة أدبياته ومفكريه، والاصدارات الفكرية التي يصدرها مفكرو حزب الدعوة نوعية ومؤثرة ولهذا حاولت البحث عن متبنيات الحزب للسلطة.علما بأنه أكثر اعتدلا من غيره من الأحزاب الدينية...

والسؤال: من خلال اجابتكم يتبين لنا عدم وجود أي خلاف فكري بين ما يطرحه الحزب الإسلامي أو السلفيون أو حزب الدعوة فمرتكزات الحكم واحدة والمنطلقات الايديولوجية واحدة والمسميات واحدة وأثبتت هذه الأشياء بالتجربة التي نشهدها الآن فالعراق من خلال برلمانه الذي تحكمه الأحزاب الإسلامية لا يختلف عن حكم داعش أو طالبان فالتشريعات واحدة لاعلاقة لها بالديمقراطية من قريب أو بعيد والعلمانية فقط كلمة وردت بالدستور لاعلاقة لهم بها. السؤال هو لماذا نحارب داعش طالما هناك نفس المشتركات الفكرية والآيديولجية وهم موجودون بالفعل داخل البرلمان العراقي، هل صراعنا هو صراع سلطوي فقط؟

ج٥٢: ماجد الغرباوي: الحركات الإسلامية الواعية بشكل عام (سنية وشيعية) تربّت في أحضان فكر وثقافة الإخوان المسلمين،

ذلك الفكر الظلامي الذي نظّر له سيد قطب في ضوء نظريته جاهلية القرن العشرين والحاكمية الإلهية. فالحركات الإسلامية جميعا تبنّت ثقافة نبذ الآخر وتكفيره (صرحوا أو لم يصرحوا)، ثقافة تؤمن باحتكار الحقيقة مطلقا، لكن بعضها أفاق فيما بعد وآبَ الى رشده بعد مراجعة نقدية عصفت في متبنياته وأفكاره. الفارق أن داعش تبنّوا منهجا تكفيريا إرهابيا، طال الحكومات والشعوب المسلمة. بينما حزب الدعوة حزب سياسي يرفض العنف، وفقا لتصريح قادته بل وسلوكه أيضا. وهذا لا ينفي وجود أرضية جاهزة متى قرروا استخدام العنف ضد الآخر. ويمكنك اكتشاف حجم العنف في فكر الدعوة من خلال مراجعة كتاب الكفاح المسلح لفقيه حزب الدعوة السيد كاظم الحائري، الذي نظّر للعنف وشرعن ممارسته على نطاق واسع بحجة اسقاط نظام حزب البعث في العراق، وقد تناولت هذا الكتاب بالنقد الفقهي الأصولي في الفصل الأخير من كتابي تحديات العنف.

بعد نجاح الثورة الإسلامية في إيران اختطف بريق الخميني عقول الإسلاميين فمارس الجميع العنف بشكل وآخر. بل أكاد أجزم أن جميع أفراد الحركات الإسلامية قد استعد للموت بعد قناعة ترسخت بضرورة استخدام العنف لإسقاط الحكومات الكافرة، واستنساخ ثورة الإمام الخميني في بلدانهم.

حاليا هناك قطيعة مع فكر سيد قطب وأبي الأعلى المودودي (باستثناء الحركات التكفيرية)، بعد مراجعات نقدية صارمة قام بها

قيادات حزب الإخوان، فكان السؤال عن شرعية الدماء التي استُبيحت من قبل الإسلاميين ومدى جدواها، وما هو مصدر اندفاع الشباب نحو الموت حاضرا في نقاشاتهم الفكرية – العقائدية. وربما أصدق مثال راشد الغنوشي زعيم حركة النهضة (الاتجاه الاسلامي) في تونس حاليا، بعد أن مارست الحركة الإسلامية التونسية العنف بزعامته في بداية الثمانينات وفقدت أغلب أعضائها. غير أني لا أطمئن لهذا التحول ما دامت المتبنيات الفكرية والعقيدية راسخة في العقل الحركي. اشترط لثقتي بهم حدوث انقلاب جذري في فهم الدين ودوره في الحياة. وبالتالي فإن احتمال عودة الحركات الإسلامية المسالمة حاليا الى العنف يبقى احتمالا قائما تتحكم به الظروف وضرورات ثنائية السلطة والمعارضة.

س٥٣: طارق الكناني: من خلال حديثكم في القسم الأول من السؤال السابق حول موضوع الخلافة الإسلامية تركتنا في حالة ضبابية دون أن نعرف حقيقة ماجرى في السقيفة، نحن لم يصلنا الكثير مماحدث يومها، كل الأقوال متضاربة ومن الصعب الوقوف على تفاصيل الحادثة بشكل محايد، فأنت تقول كلا الطرفين لم يرتكز على نص قرآني في طرح مشروعه السلطوي، لا الذين قالوا بالشورى، ولا الذين قالوا بولاية العهد حيث لا يوجد ما يؤيد كلا النظريتين، ولكن عند رجوعنا إلى المرتكزات الفكرية لكلتا النظريتين نجدهما يحكمان بموجب نظرية الحق الالهي فمثلا عند قيام الثورة على عثمان رفض أن يتنازل عن الخلافة باعتبارها أنها قميص ألبسه الله إياه وهكذا قُتل.

باعتقادك كباحث اسلامي محايد أي النظريتين كانت قريبة من جوهر النظام السياسي الذي جاء به محمد(ص).؟

ج٥٣: ماجد الغرباوي: قلت مرارا في كُتبي ودراستي أن الإسلام لم يلزمنا بأي نظام سياسي، بل أهمل الكتاب الكريم السياسة والإقتصاد وهما عصبا الحياة، وأكتفى بمبادئ وقيم إنسانية ودينية كقاعدة أخلاقية لضبط سلوكنا حينما نمارس السلطة والحكم أو أي مسؤولية حياتية أخرى.

من المستحيل أن ديناً يروم البقاء عبر الزمن يقيّد أتباعه بنظام سياسي أو أقتصادي، لكن من المعقول ان يلزمنا القرآن بمبادئ

وقيم أخلاقية لضبط جشع الإنسان والحد من طموحاته ألا مشروعة، أما أن يعيق حركة المجتمع بقوالب يعلم جيدا ستتأكل بفعل التطور الحضاري فهذا لا أتعقله إطلاقا، ومن يؤمن به للأسف الشديد لا يعرف ما هو هدف الدين في الحياة. النظم صيغ تلبي حاجاتنا ومتى ما وجدنا أفضل منها نهملها، وهذا ما عليه العالم المتحضر الآن، المهم الاحتفاظ بروح الدين وقيمه ومبادئه.

الإسلام دين للبشرية عامة، أو للناس كافة كما في التعبير القرآني، والقرآن كتاب هداية، أوحى به الله تعالى لنبيه الكريم كي ينتزع الإنسان من لوثة الشرك وعبادة الأصنام ويحرره من عبودية الطاغوت كي يكون حرا في حياته. أما ممارسة الرسول للسلطة المحدودة فقد فرضتها ظروف توسع مجتمع المدينة، فالسلطة والحكم ليس ضرورة دينية بل ضرورة اجتماعية، وإلا لحظيت باهتمام القرآن والرسول، بينما لا تجد ما يتناسب مع حجم أهميتها. الآيات في الكتاب الحكيم تتناسب مع أهمية الموضوعات، وقد تحدث بصراحة حول قضايا نعتبرها ثانوية وخاصة جدا، كما بالنبسة للمرأة ووضعها الجسدي مثلا. خص الزكاة بعدد كبير من الآيات، بينما خص الخمس بآية واحدة. فترك بعض المسلمين الزكاة واهتم بالخمس خلافا للمنهج القرآني. الحقيقة أن القرآن والرسول قد أهملا موضوع الحكم، ولم ينص أي منهما على من سيخلف رسول الله، بل ليس النبوة منصب سياسي كي يحتاج الى من يقوم مقام الرسول، لهذا احتاروا بماذا

ينادون أبا بكر؟ هل خليفة الله أم خليفة رسول الله أم خليفة المسلمين؟

لا يوجد في روايات الشيعة والسنة (السنيّة كما في تاريخ الطبري والشيعيّة كما في كتب الشيخ المفيد وهو زعيمهم) ما يؤكد أن الرسول نص على أحد، بل نفى وأكد للعباس وعلي كما في رواية المفيد أنهما على خير. والموضوع مفصّل في محله. وأأكد ثانية لم ينص برواية صريحة واضحة بالاسم والوصف، وإلا فالتراث غنيّ بروايات أخرى لكن لا ترقى لمستوى الرواية الحجة بكامل شروطها. أما باب التأويل فواسع عند المسلمين، وكان السبب الأساس وراء كل مآسينا.

وبالتالي فصيغتا الحكم (الخلافة والإمامة) تم التنظير لهما بعد عصر الخلافة. فالنزاع على السلطة كان نزاعا سياسيا، وإلا لو كان لديهم نص صريح واضح يصلح أن يكون مرجعية متفقا عليها لحسم النزاع (آية أو رواية) لما توانى أي منهم لحظة واحدة في استدعائه والاحتجاج به لتسوية النزاع. ما عدا ما رواه أبو بكر عن رسول الله بأن الخلافة في قريش، والغريب كما يقول لم يسمعه سواه!!! يا سيدي سلطة النص (القرآن خاصة) عند المسلمين سلطة هائلة، تضع حدا لكل النزاعات. فلو كان هناك نص صريح واضح لما وقع الخلاف إطلاقا. بل أأكد عدم وجود أية مرجعية متفق عليها لحسم النزاع. بل لم يتوفر أي حديث ينص على أي منهما صراحة بالاسم، أو ينص على آلية ما. واتهام الصحابة

بتحريف القرآن لا دليل عليه، خاصة وإن كل طرف يتربص بالثاني، ولو حصل أي شيء من هذا القبيل لفُضح من قبل الطرف الآخر وحزبه.

وهذا لا ينفي وجود روايات وأحاديث تشيد بفضائل بعضهم كما بالنسبة للإمام علي الذي اتفق الطرفان على فضائله. غير أن الفضيلة شيء والنص بالخلافة شيء آخر. وأيضا لا ينفي وجود من هو أكفأ من أبي بكر، ولا ينفي التخطيط المسبق للالتفاف على الأنصار، ومصادرة مشروعية كل من نافس الخليفتين الأول والثاني مثل سعد بن عبادة. وما تقرأه من روايات وأحاديث وتأويلات دوّنت بعد القرن الثاني!!!. ثم نظّر المسلمون عقليا لموضوعاتها بعد القرن الثالث. وعليه ردا على سؤالك فإن كلا النظريتين ممكنة غير أن نظرية النص تحتاج لدليل لفظي صريح واضح، لهذا الإمام علي لم يدَّعِ شيئا، المسألة خطيرة وتداعياتها أخطر. علي بن أبي طالب طرح نفسه عليا، القائد، والمقرّب من الرسول، وأمين سره، وكاتب وحيه، وأقضى الصحابة بنص رسول الله الذي يرويه الجميع، والقضاء روح السلطة والحكم كما تعلم، الرجل الكفوء في المهمات الخطيرة. من هذا الباب طرح نفسه، ومن هذه الزاوية تعاملوا معه ومع أصحابه، أي تعاملوا معه كمرشح مستقل كفوء وفاضل إلا أن أبا بكر كما يعتقدون -والله أعلم بنواياهم -أفضل وأكفأ. مشكلة السقيفة يا صديقي في عدم وجود مرجعية متفق عليها تحسم النزاع آنذاك، وما تقرأه من أدلة

لتعضيد شرعية كل منهما تم التنظير لها متأخرا جدا عن الحدث، وجاء في حمى التنافس على أفضلية هذا الطرف أو ذاك، أي قام أتباع وأنصار كل طرف بتحشيد الأدلة والشواهد والتاريخ والجعفرافية لرفع رصيد أفضلية هذا أو ذاك، لعدم وجود مرجعية متفق عليها لحسم النزاع حول الأحقية والشرعية، وهذا دليل آخر يؤكد عدم وجود ما يمكن الاستدلال به لحسم النزاع في حينه. لكن لا أخفيك أن ما حدث في سقيفة بني ساعدة بين الأنصار والمهاجرين يندى له الجبين، لا تصدق أن يصدر كل هذا التراشق بالألفاظ من صحابة رسول الله وهو مسجى في بيته!!!!.

طارق الكناني: في ختام هذا الجزء المهم من الحوار اتقدم لك بخالص شكري وامتناني أولا لسعة صدرك وتحملك هذه الكم من الأسئلة وثانيا لصراحتك وكرمك في الإجابة على اسئلة هذا المحور وأرجو أن نستكمل المحور الثالث على نفس الوتيرة من الصراحة والأريحية ،دمت مفكرا وباحثا ورائدا من رواد التجديد.

ماجد الغرباوي: وأنا بدوري أشكرك، الاخ الاستاذ طارق الكناني، على أسئلتك التي استفزت ذاكرتي، وساعدتني على تدوين شهادتي حول أهم فترة مر بها العراق وشعبه والمعارضة السياسية في داخل البلد وخارجه. كما أشكر مشاعرك الوطنية النبيلة التي كانت تحفزنا للغور في أعماق الأحداث بحثا عن الحقيقة وضبط ملابساتها، ودفعتك بكل إخلاص لطباعة الكتاب وإصداره بأفضل الأشكال.

مؤسسة المثقف العربي

مؤسسة المثقف العربي، مؤسسة غير حكومية، تعنى بالشأن المعرفي، وتمارس نشاطها في مجالات الثقافة والفكر والأدب والفنون. تتخذ من مدينة سيدني الأسترالية مكتبا رئيسا لها، ومن صحيفة المثقف موقعا على الشبكة العنكبوتية.

جاء الاعلان عن تأسيس مؤسسة المثقف العربي في ٢٠١٠/٠١/٠٥م استجابة لمتطلبات العمل الإعلامي الراهنة، وتلبية لضرورات نشر وتعزيز وإشاعة ثقافة التسامح والمحبة والتكافل، وايجاد مركزية مؤسساتية تضمن ترابط الأعمال الصادرة عنها، ووضعها في سياق العمل المنظم. فبعد عمل متواصل لثلاث سنوات في صحيفة المثقف انبثقت نشاطات أخرى، تطلبت وجود مؤسسة لإدارة شؤونها وتسيير أعمالها.

ومؤسسة المثقف العربي جهة مستقلة، ترفض العنف والتكفير، والتطرف المذهبي والسياسي، وتستقل برؤية بعيدا عن تشظيات الأيديولوجيا وكل الإنقسامات والخصوصيات التي تنال من كرامة الفرد والمجتمع. ساعية إلى ترسيخ قيم الإنسان عبر إشاعة ثقافة التسامح والمحبة والأخوة ووحدة المصير البشري.

ينبثق عن إدارة المؤسسة مجلس استشاري، يساهم في ترشيد سياسة المؤسسة، والتخطيط لمشاريعها المستقبلية، كما ستمثل

نشاطات المؤسسة خارج استراليا نخبة من المثقفين، سعيا منهم لتعميق الأواصر الثقافية بين أبناء الكيان المجتمعي المتحد .

مبادئ مؤسسة المثقف العربي

- نؤمن بالتعددية والرأي الآخر.
- ندعو للتعايش بين الأديان والثقافات.
- نتبنى قيم: التسامح، والحرية، والديمقراطية، وحقوق الإنسان.
- نحارب العنف والتحريض والتكفير.
- نرفض الخطاب الطائفي والأيديولوجي المحرض.
- نساهم في تعميق لغة الحوار والتفاهم وفق الثوابت الأساسية المستمدة من تعاليم السماء وقوانين الأرض.
- نعنى بالمثقف ومواقفه إزاء الأحداث والتحديات، ونعرّف بإنجازاته وأعماله ومشاريعه.

ماجد الغرباوي

رئيس مؤسسة المثقف العربي

إصدارات مؤسسة المثقف العربي:

-تجليات الحنين .. في تكريم الشاعر يحيى السماوي (ط١)/ إعداد وتحرير وتقديم: ماجد الغرباوي.

-الضد النوعي للاستبداد.

استفهامات حول جدوى المشروع السياسي الديني / ماجد الغرباوي.

-امرأة بين حضارتين ... حوار مفتوح مع ا. د. إنعام الهاشمي / إعداد

وتحرير وتقديم: ماجد الغرباوي.

-د.عبد الرضا عليّ .. رحلةٌ متوهّجةٌ في فضاءِ النقد والدرسِ الأكاديمي / إعداد وتحرير وتقديم: ماجد الغرباوي.

-جذِلاً .. بينَ سِربِ السنونو / سعد الحجّي.

-وفاء عبد الرزاق .. أفق بين التكثيف والتجريب / إعداد وتحرير وتقديم: ماجد الغرباوي.

-شوكت الربيعي .. فضاء إبداعي متوهج / إعداد وتحرير وتقديم: ماجد الغرباوي.

-مدارات ايديولوجية .. حوار مفتوح مع الاستاذ سلام كاظم فرج / إعداد وتحرير وتقديم: ماجد الغرباوي.

-الشيخ محمد حسين النائيني .. منظّر الحركة الدستورية / ماجد الغرباوي.

-أيلول وضوء القمر / د. هناء القاضي.

-أدخلُ جسدي أدخلُكم / وفاء عبد الرزاق.

-غرّيد القصب /. سنية عبد عون رشو.

-تعالى لأبحثَ فيك عنّي / يحيى السماوي.

-مدخل إلى الضوء / وفاء عبد الرزاق.

-المتخيل التعبيرى / د. نادر أحمدعبد الخالق.

-منهج الشهيد محمد باقر الصدر في تجديد الفكر الإسلامي / د. عبد الجبار الرفاعي.

-ترنيمتان لمنفى واحد / سوزان سامي جميل وأفين إبراهيم.

-مطارحات حول الحجاب والزينة في الشرع الإسلامي / غالب حسن الشابندر.

-(مسرحية) رحلة ابن عوف إلى بلاد الخوف / محمد تقي جمال الدين.
-العُمْـرَان البشـري الإسـلامي / دراسـة تأصـيلية في ضـوء القـرآن الكريم والسنة النبوية / د. رشيد كُهُوسْ.
-في غياب الجواب / وفاء عبد الرزاق.
-أغلال أخرى / وفاء عبد الرزاق.
-وجوه أشباح وأخيلة / وفاء عبد الرزاق.
-إدمان السياسية .. سيرة: من القومية للماركسية للديمقراطية / جورج كتن.
-الزمن المستحيل / وفاء عبد الرزاق.
-حاموت / وفاء عبد الرزاق.
-سطر .. الشارع / فلاح الشابندر.
-توظيف النص القرآني في شعر أحمد مطر / أ. د. محمد ثامر السعدون الحسيني.
-البحث عن اللون / حسن البصام.
-العقل .. قراءات في إشكالية العقل عبر المدارس الفلسفية المتنوعة (١) / غالب حسن الشابندر.
-العقل .. قراءات في إشكالية العقل عبر المدارس الفلسفية المتنوعة (٢) / غالب حسن الشابندر.
-أنقذتِني مني / يحيى السماوي.
-فنتازيا النّص في كتابات وفاء عبد الرزاق / د. وليد جاسم الزبيدي.
-صمغ اسود / وفاء عبد الرزاق.

-الطيور المهاجرة ورماد العودة .. حوار مفتوح مع ا. د. عبد الاله الصائغ / إعداد وتحرير وتقديم: ماجد الغرباوي.
-أنا ليلى حتى الرمقِ الأخيرِ / سوزان عون.
-الاغتيال الاموي للبحر (مسرحية) / محمد تقى جمال الدين.
-المرأة والقرآن .. حوار في اشكاليات التشريع / د. ماجدة غضبان وماجد الغرباي.
-تطوّر المباني الفكريّة للتشيّع / د. حسين المدرسي الطباطبائي.
-الحركات الإسلامية .. قراءة نقدية في تجليات الوعي / ماجد الغرباوي.
-أشك حتى .. / وفاء عبد الرزاق.
-الشيخ محمد رضا المظفر وتطور الحركة الاصلاحية في النجف / الشيخ محمد مهدي الآصفي، تقديم: ماجد الغرباوي.
-رائد الأدب المعاصر .. دراسة في شعر الشاعر المغترب قصي الشيخ عسكر / د. هدى صحناوي.
-رسالة (رواية) / د. قصي شيخ عسكر
-جدلية السياسة والوعي .. قراءة في تداعيات السلطة والحكم في العراق / ماجد الغرباوي.
-وطن الجراد (رواية) / ا. د. محمد ثامر.
-إشكاليات التجديد (ط٣) / ماجد الغرباوي.
-تجليات الحنين .. دراسات وشهادات في منجز الشاعر يحيى السماوي (ط٢) / إعداد وتحرير وتقديم: ماجد الغرباوي.
-إخفاقات الوعي الديني.. قراءة في تداعيات النكوص الحضاري / ماجد الغرباوي وسلام البهية السماوي.

-الخيال السوسيولوجي العراقي.. عبد الجليل الطاهر أنموذجا / د. محمد حمود إبراهيم السهر.

-أولاد النصرانية.. جيل آخر (رواية) / أحمد الشطيبي.

-جدلية العنف والتسامح .. قراءة في المشروع الإصلاحي لماجد الغرباوي/ د. صالح الرزوق، ٢٠١٦م.

-رهانات السلطة في العراق .. حوار في أيديولوجيا التوظيف السياسي / ماجد الغرباوي وطارق الكناني.

-مدارات عقائدية .. حوار في مُنحنيات الأسطرة واللامعقول الديني / ماجد الغرباوي وطارق الكناني.

AAA - Sydney – Australia
Almothaqaf Arabic Association

مؤسسة المثقف العربي 2010

www.almothaqaf.com

almothaqaf@almothaqaf.com

طارق الكناني

-طارق فاخر عباس الكناني

-١٩٦٠ -كربلاء / العراق

-ماجستير محاسبة

-حاصل على عدة شهادات أخرى

-شهادة في بناء الإقتصاد المحلي من معهد اينلوب وارشو

-شهادة في ادارة الإئتمان المصرفي من معهد المحاسبة الأمريكي

-شهادة في إدارة المصارف من الاكاديمية العربية للعلوم المالية والمصرفية / عمان

-عمل في عدة وظائف حكومية آخرها مدير فرع في بنك الرشيد الحكومي.

-عمل استاذا في كلية الفراتين قسم العلوم المالية والمصرفية.

-صدرت له ثلاث مجموعات شعرية: قصائد بتاريخ الغد، ازاهير آنية الشمس، ذاكرتي وربيع الزهايمر.

-عمل في الاعلام منذ العام ١٩٩٠.

-كاتب في الشأن السياسي، وله عشرات المقالات في السياسة والادب.

-مدير تحرير صحيفة الحقيقة في العراق.

-عضو هيأة التحرير في مجلة الثقافي.

-يكتب في الصحف العربية والمحلية

-ناشط مدني

المحتويات

مقدمة ٥
ماجد الغرباوي .. بطاقة ثقافية ١٦

المحور الأول:
الحركة القومية في الوعي السياسي العربي . . . ١٩

المحور الثاني:
أيديولوجيا التوظيف السياسي ..
أسئلة المعارضة والسلطة في العراق ٥٧

المحور الثالث:
المواقف السياسية وتداعياتها ١٠١

المحور الرابع:
الانهيار وتداعيات الفساد ١٣٥

المحور الخامس:
الدولة في الفكر الإسلامي ١٦٣
مؤسسة المثقف العربي ١٨٤
طارق الكناني.. سيرة ذاتية ١٩٠